

أوضاع اليهود في بلاد الشام خلال حكم

المماليك

(648هـ/922هـ-1250/1517م)

دكتور نسيم زريق جمعة أبوشلوف

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد، بقسم التاريخ

كلية الآداب والعلوم الانسانية-جامعة الاقصى

غزة-فلسطين

The status of the Jews in Al-Mamaleek eara.

Ph.D. Naseem Abu Shalof (assistant professor of history)

History department, College of Art and Humanities, Al-Aqsa university, Palestine.

Abstract:

This study deals with the situation of Jews in the Levant in the Mamluk period from 648-923h / 1250-1517m where the study shed light on the whereabouts of the Jews in the Levant and political conditions, and their role in influencing the Mamluk economy during that period, as Astaradt social status, the study comes in two axes: first, taking the political and demographic situation of the Jews in the Levant. The second is the religious situation of the Jews in the Levant.

The study relied on several Platform, the most important descriptive historical approach, analytical and historical approach.

Key words: Mamaleek, Mamalik, Islamic history, Jews history.

أوضاع اليهود في بلاد الشام خلال حكم المماليك

(648هـ/922هـ-1250/1517م)

دكتور نسيم زريق جمعة أبوشلوف ، أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد،
قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الاقصى، فلسطين

مستخلص البحث:

تتناول هذه الدراسة أوضاع اليهود في بلاد الشام في العهد المملوكي في الفترة من 648-923هـ/1250-1517م حيث سلطت الدراسة الضوء على أماكن تواجد اليهود في بلاد الشام وأوضاعهم السياسية، ودورهم في التأثير على الاقتصاد المملوكي خلال تلك الفترة، كما استعرضت أوضاعهم الاجتماعية، وجاءت الدراسة في محورين، الأول: تناول الأوضاع السياسية والديمقراطية لليهود في بلاد الشام. والثاني: الأوضاع الدينية لليهود في بلاد الشام. وقد اعتمدت الدراسة على عدة مناهج، أهمها المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج التاريخي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: المماليك، التاريخ الإسلامي، اليهود، اليهود والمماليك.

إشكالية البحث:

تعالج الدراسة أوضاع اليهود في بلاد الشام منذ قيام الدولة المملوكية وحتى سقوطها، معتمدين على السياسة التي اتبعتها الدولة المملوكية تجاه الأقليات والطوائف الأخرى ومنها اليهود، ومدى اتساق هذه السياسة مع طبيعة هذه الأقليات وانعكاساتها على سلوكها السياسي والاقتصادي، في إطار الفرضية التالية:

حاول اليهود طوال تواجدهم في بلاد الشام خلال العهد المملوكي تعزيز نفوذهم السياسي والاقتصادي في تنمية وجودهم ديمغرافياً وتقوية نفوذهم سياسياً، بما يساهم في زيادة تعزيز اعتقادهم التاريخية- في فلسطين- المبنية على أساس ديني.

أهمية البحث:

لدراسة أوضاع اليهود في بلاد الشام خلال حكم المماليك أهمية بالغة بالنسبة لواقع هذه الدولة، خاصة فيما يتعلق بتأثيرهم الاقتصادي والديموغرافي في الدولة، فلا شك أن الفهم العميق لدراسة أوضاع اليهود في بلاد الشام خلال تلك الفترة سيساهم في التعرف على مدى تأثيرهم وتأثرهم بالواقع الذي فرضه المماليك، وانعكاساته على سلوك هؤلاء في شتى مناحي الحياة.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء بالرصد والتحليل التاريخي لواقع اليهود في بلاد الشام خلال الحكم المملوكي على النحو الذي من شأنه أن يعطينا قراءة معمقة وواضحة عن التركيبة الديمغرافية، والدينية، والاقتصادية، وانعكاساتها على أوضاع اليهود في بلاد الشام خلال تلك الفترة، وذلك من خلال:

- تتبع أماكن تواجد اليهود في مدن الشام وأعدادهم، والتعرف على الطوائف اليهودية في بلاد الشام في العهد المملوكي.
- تسليط الضوء على الأوضاع السياسية لليهود.
- التعرف على الأوضاع الاجتماعية لليهود.
- تحليل الواقع الاقتصادي لليهود خلال الحكم المملوكي.
- الوثائق التاريخية والمخطوطات وغيرها من الأدلة التاريخية التي أبرزت دور اليهود في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية خلال العهد المملوكي.

منهجية البحث:

نظراً لطبيعة الدراسة التي تسلط الضوء على واقع وأوضاع اليهود في بلاد الشام خلال الحكم المملوكي، وما لهذا الموضوع من أهمية بالنسبة للدولة المملوكية باعتبارهم جزء من مكونات الدولة بأبعاده السياسية الاجتماعية الديموغرافية، فإن الدراسة تطرح عدة مناهج، منها:

- المنهج التاريخي الوصفي.
- المنهج التاريخي التحليلي.

محاور البحث:

تتألف الدراسة من محورين رئيسيين هما:

- المحور الأول: الأوضاع السياسية والديمغرافية لليهود في بلاد الشام.
- المحور الثاني: الأوضاع الدينية لليهود في بلاد الشام.

المحور الأول: الأوضاع الديمغرافية والسياسية لليهود في بلاد

الشام.

أماكن تواجد اليهود في مدن الشام وأعدادهم.

انقسم اليهود في فلسطين (دينياً) خلال العهد المملوكي إلى ثلاث فرق، وهم: الربايون والقراؤون والسامرة. وكان هذا الاختلاف لأنهم اعتقدوا أن ألفاظ التوراة قد تم تحريفها⁽¹⁾، وكل طائفة تزعم أنها صاحبة المذهب الأمثل والأقرب إلى أصول الديانة اليهودية وتركز الخلاف بين تلك الفرق حول الاعتراف بأسفار التوراة والتلمود أو إنكار بعض هذه الأصول⁽²⁾.

من المعروف أن اليهود سكنوا في المدن داخل أحياء خاصة بهم مثل حارة اليهود التي اشتهرت بهم في بيت المقدس⁽³⁾، وكذلك في حلب وخاصة في الشمال منها، حيث أطلق على أحد أبواب المدينة من جهة الشمال باب النصر وكان يُعرف قديماً بباب اليهود لأن اليهود تجاوره بدورهم ومنه يخرجون إلى مقابرهم⁽⁴⁾، كذلك عرف أحد أبواب مدينة القدس باسم باب اليهود لأن حارتهم تقع بالقرب منه⁽⁵⁾

(1) المقدسي، البدء، ج5، ص30.

(2) قاسم، عبد قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص258.

(3) العليمي، الأئس الجليل، 52/2، 56، غوانمة، نيابة بيت المقدس، ص122.

(4) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص234، 242. ابن شداد الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة: 9، 7، بتقييم الشاملة آليا).

(5) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص33، 44 سهيل زكار، إمارة حلب (سوريا: د/ت) 204.

وكان لليهود مناطق خاصة بهم في طرابلس⁽⁶⁾، وحماة⁽⁷⁾، واحتوت مدينة دمشق على جماعة يهودية كان لها حيتها ورئيسها الخاص⁽⁸⁾.

ولكن أعداد اليهود بالقدس حسب إحصائيات الدولة العثمانية وهي القريبة لفترة الدراسة في سنة 1572م أن عدد الذكور اليهود مائة وخمسة عشر يهودياً فقط⁽⁹⁾.

وقد أكدت سجلات الدولة العثمانية صحة هذا الرأي عندما اشتكى اليهود إلى دفتر دار مدير الخزانة ولاية الشام من الضرائب المفروضة عليهم بأن عددهم كان أقل مما هو مسجل في دفتر التحرير وبناء على هذه المعلومات تم إجراء إحصائية أثبتت أن أعدادهم مائة وخمسة عشر ويؤخذ من (55) شخصاً ضرائب لصالح الحرم القدسي أما 60 منهم ترجع عوائدهم الضريبية لصالح السلطان⁽¹⁰⁾.

ومن الممكن أن أعداد اليهود في القدس زمن المماليك كانت قد زادت لأسباب كثيرة منها ضعف السلطة الحاكمة وكذلك تقديم الرشوة ولكن عند مجيء الدولة العثمانية حاربت هذا الوجود ربما لأسباب دينية مما قلل من أعدادهم في مدينة القدس فقد أثبتت الوثائق الثمانية أن أعداد اليهود قد انخفضت ما بين

(6) سالم، طرابلس، ص 230.

(7) محمد يوسف، طوائف الحرف في حماة، مجلة الحوليات الأثرية السورية، م 19: ص 122، زيادة، دمشق، ص 86.

(8) ابن صصري، الدرّة المضيئة ص 137، ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق 2: ص 122، زيادة، دمشق، ص 86.

(9) Scholch. Elxander. gerusalem. in 19th Century; In Asali (Ed). gerusalem in History,

Scorpion (1989) Buckhursl Hill.p.204.

(10) سجلات محكمة القدس الشرعية رقم الفلم 10. رقم التسجيل 55.11 نيسان 1572م-21 ايلول 1572م، مركز الوثائق والمخطوطات الجامعة الأردنية.

سنة 1606م/1607م بسبب مقدار الجزية المفروضة على اليهود، ويشير النص الوارد في هذا الجانب إلى أنه "لما حضر لدى مولانا افتخار قضاة الإسلام سند الموالي العظام... الحاكم الشرعي مولانا مصطفى أفندي الموقع خطه الكريم أعلاه نظيره دام فضله... وأبرز من يده مكتوباً من جانب أمير الأمراء الكرام كبير الكبرا الفخام صاحب العز والمجد والاحتشام محمد جودي أفندي الدفتردار بولاية دمشق الشام دام عزه على الدوام مضموم لذلك انه ورد إلينا أمر شريف سلطاني بان يجمع لجهة ميري محصول الجزية وتداخلها عن مدة ثلاث سنين تقدمت على تاريخه من النصارى واليهود بولاية الشام ونواحيها وقد عيننا مصطفى باشا لجمع تداخل الجزية تقدمت على تاريخه من النصارى واليهود القاطنين في مدينة القدس الشريفية وتوابعها⁽¹¹⁾.

ويلاحظ أن اليهود في بلاد الشام، كانت أعدادهم خلال الفترة الممتدة بين 1480-1522 في مدينة دمشق تتراوح بين 400-500 عائلة تقريباً⁽¹²⁾، أما عن أعداد اليهود في مدينة بيت المقدس فقد بلغت في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر الميلادي خمسمائة شخص⁽¹³⁾، وتجدر الإشارة أن القرن العاشر الهجري زادت فيه أعدادهم في مدينة بيت المقدس زيادة ملحوظة والسبب في ذلك يرجع لهجرة اليهود من الأندلس بعد طردهم منها 898هـ/1492م وتعرضهم كالمسلمين

(11) سجلات محكمة القدس الشرعية رقم الفلم 16. رقم التسجيل 17.78 تشرين ثاني 1606م-8تموز 1607م، مركز الوثائق والمخطوطات الجامعة الأردنية.

(12) Tarawneh , the province of Damascus.P. 82.

(13) زيادة، فليكس، ص197. Fabri , the wonderings of fabri , vol .IX . P. 226.

للمذابح على يد الأسبان بتحريض من الكنيسة الكاثوليكية ولجأ عدد منهم إلى فلسطين وسكنوا في مدنها وقرأها بأحياء خاصة بهم. ومن الحارات، التي تواجد فيها اليهود الصالحية⁽¹⁴⁾، وميدان الحصى، والقيبات والشاغور، وحارة النصارى، وحارة اليهود عند بستان القط، وحارة السمرة فوق العنابة⁽¹⁵⁾.

وهنا علينا أولاً إثبات الوجود اليهودي في المدن الفلسطينية وهو ما ذكرته المصادر التاريخية والجغرافية وقد وصفها الإدريسي في حديثه عن كورة فلسطين أن كورة السامرية" وهي نابلس وبيسان وأريحا وزغر⁽¹⁶⁾، وعليها الآن كنيسة حسنة"⁽¹⁷⁾. وهذا النص يؤكد لنا وجود هذه الطائفة في منطقة الغور الفلسطيني أيضاً إلى جانب نابلس، وذكر غيرها من القرى والضياع في أثناء حديثه عن كورة السامرية. وقد ذكر العليمي وجودهم في نابلس " وبها كثير من السامرة فإنهم يعتقدون أن القدس جبل نابلس"⁽¹⁸⁾.

وكان البلاذري من الذين ذكروا السامرة في مدينة نابلس في فلسطين، حيث أنها كما تقدم لها قدسية خاصة عندهم حيث قال: "السامرة بالأردن وفلسطين، وكانوا عيوناً وأدلاء للمسلمين على جزية رؤوسهم وأطعمتهم وأرضهم فكما وضع يزيد بن

(14) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص 413.

(15) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص 413. قرى ومدن تقع شمال الشام.

(16) زغر وهي بحيرة ويقال لها المقلوبة أيضاً وهي غربي الأردن قرب أريحا وهي بحيرة ملعونة لا ينتفع بها في شيء ولا يتولد فيها حيوان ورائحتها في غاية النتن، ينظر: الحموي معجم، ج 1، ص 352.

(17) نزهة، ج 1، ص 377، ص 356.

(18) الإنس، ج 2، ص 75.

معاوية الخراج على أرضهم وقد ذكر عندما حاصرها ففتحها معاوية قسراً، فوجد بها من السامرة ثلاثين ألفاً ومن اليهود مائتي ألف⁽¹⁹⁾. وهذا يؤكد أنه قبيل فتح فلسطين كان السامرة واليهود يسكنون مع بعضهم البعض في مدينة نابلس رغم الاختلاف الديني بينهم.

وذكر الحموي قرية بيت ماما من قرى نابلس بفلسطين كان أهلها سامرة وكانت الجزية على الرجل منهم عشرة دنانير⁽²⁰⁾. وقد أكد أبو الفداء أنهم سكنوا نابلس⁽²¹⁾. أما القلقشندي فقال: "هي مدينة السامرة"⁽²²⁾.

وبالحديث عن أوضاع اليهود بشكل عام في بلاد الشام في العهد المملوكي، نشير إلى أن التجمعات اليهودية في فلسطين قبيل سيطرة المماليك وأثناء ذلك، افترض دراسة حديثة أن مدينة رام الله كانت من المراكز اليهودية الهامة وتعتبر عاصمة للمنطقة الجنوبية من فلسطين في العهد الفاطمي في مصر، وشهدت هذه المدينة نزوحاً مستمراً بين طائفتي القرائين والريانيين. وكانت لهاتين الطائفتين علاقات مع اليهود في البلدان الإسلامية الأخرى، مثل القاهرة ودمشق وحلب وبغداد، وكذلك تواجد اليهود في أغلب مدن بلاد الشام⁽²³⁾ عندما حدث الزلزال العنيف سنة 597هـ/1200م هدمت مدينة نابلس لم يبق سوى حارة السامرة⁽²⁴⁾.

(19) فتوح البلدان، ج1، ص162، ص147.

(20) معجم، ج1، ص522.

(21) تقويم البلدان، ص341، ص343.

(22) صبح، ج4، ص106، ص107.

(23) براور، الاستيطان الصليبي، ص282.

(24) اليافعي، مرآة، ج3، ص489. ابن كثير، البداية، ج13، ص28. العليمي،

الأنس، ج2، ص75.

وأورد كذلك (القزويني) بأنها مكان تجمع السامرة، حيث وصفهم بأنهم طائفة من اليهود، الذين يعتبرونهم طائفة مبتدعة ومنهم من يرى في السامرة كفار ملة اليهود. وفي ذلك يقول عنهم: "وبها اجتماع السامرة، وهم طائفة من اليهود، واليهود بعضهم يقول: "إنهم مبتدعة لملتنا!" ومنهم من يقول: "إنهم كفار ملتنا"⁽²⁵⁾.

وكان لليهود حارة في بيت المقدس يعيشون فيها وقد ورد ذكرها في أكثر من موضع عند الحديث عن حارات القدس. وكان بإمها يطل على خان المصرف، وكان يفتح باب دير صهيون عليها، ومن جهة الغرب يحدها دير الأرمين⁽²⁶⁾، وهو ما دل على التواجد اليهودي في القدس.

وكان للعهد السلجوقي آثاره على اليهود وخاصة في حالة الحروب والمنازعات التي انتشرت في بلاد الشام بين أبناء البيت السلجوقي أنفسهم، أو مع الدولة الفاطمية وانضمام القبائل العربية إلى هذا الصراع⁽²⁷⁾، وقد ترتب على هذا الصراع انتقال قيادات الجماعات اليهودية من مدينة رام الله إلى مدينة صيدا، والتي استقرت فيما بعد في مدينة دمشق، وخضعت للقيادة التركية السلجوقية⁽²⁸⁾. ومن الأسباب التي دفعت اليهود لهذه الهجرات من المدن مثل: رام الله ويفا خوفهم من الحروب الصليبية القادمة من غرب أوروبا⁽²⁹⁾.

(25) القزويني، زكريا محمد بن محمود (ت 682هـ/1282م)، آثار البلاد وأخبار العباد، ص203، ص277.

(26) العليمي، الأنس، ج2، ص52، ص53، ص56.

(27) براور، الاستيطان الصليبي، 281.

(28) المعاضيدي، الحياة السياسية، ص11. ينظر: الأغا، الأوضاع، ص174-179.

(29) براور، الاستيطان الصليبي، 283. ينظر: الأغا، الأوضاع، ص174-179.

وذكر ابن عساكر في حديثه عن مدينة دمشق وجود حارة لليهود⁽³⁰⁾، وقدر عددهم في دمشق بنحو ثلاثة آلاف يهودي⁽³¹⁾، كما تواجد اليهود في مدينة حلب حيث أشار البعض إليهم وكان عددهم ألفاً وخمسمائة⁽³²⁾.

أما عن أوضاع اليهود في العهد الأيوبي والفرنجي فقد كانت مفزعة، حيث إنهم اضطهدوهم وأكثر من ذلك لما بلغ الفرنج خروج الأفضل من مصر جدوا في القتال ونزلوا من السور وقتلوا خلقاً كثيراً وجمعوا اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم، وهدموا المشاهد وقبر الخليل عليه السلام⁽³³⁾، وقد وصف أوضاع اليهود عندما قام الفرنج بالمذبحة بعد أن حاصروا بيت المقدس شهراً ونصف، وقتلوا سبعين ألفاً، و"جمعوا اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم"⁽³⁴⁾. أما صلاح الدين الأيوبي فأدخل كثيراً منهم مصر في خدمته ولكن يبدو أن الوضع أنقلب في العصر المملوكي إلى بعض الاضطهادات العنيفة⁽³⁵⁾، ومما يؤكد أن أوضاع اليهود رغم ذلك كانت أفضل عندما زار فلسطين الرحالة اليهودي (بنيامين التطيلي) وقدم إحصائية حول أعداد اليهود فكانت بعض المدن الفلسطينية خالية من أي يهودي منها (حيفا سبسطية، الخليل، بيسان)⁽³⁶⁾. فقد ذكر أن في بيت جبريل 3 يهود و 12 يهودياً

(30) تاريخ، ج2، ص111.

(31) التطيلي، رحلة، ص117.

(32) ابن كثير، البداية، ج13، ص211. ابن أبي جرادة، بغية الطلب، ج1، ص55.

المقدسي، التقاسيم ج1، ص143. التطيلي، رحلة، ص121.

(33) ابن تغري، النجوم، ج5، ص159.

(34) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص19. ابن تغري، النجوم، ج5، ص150. السيوطي،

تاريخ، ج1، ص427.

(35) عاشور، المجتمع، ص49.

(36) رحلة، ص93-106.

في بيت لحم و في الرملة 3 يهود وفي يافا يهودي واحد و في عسقلان 200 وفي طبرية 50 يهودياً وبالنسبة لبيت المقدس ونابلس لم يجد فيها يهودياً واحداً، وفي عكا 200 يهودي معظمهم من الريانيين⁽³⁷⁾. وكانت الجماعات اليهودية في مناطق بيت المقدس، وفي السهل الساحلي تعيش في أحياء مستقلة ضمن مجتمع المدينة المسلم وفي منطقة الجليل عاشوا في قرى ضمن أخلاط من السكان إلا أن هذا لا يعني أنهم لم يختلطوا ويتعاملوا مع الآخرين من أبناء المجتمع الإسلامي⁽³⁸⁾. ومن الأمور الهامة التي تتعلق باليهود في بلاد الشام قبيل قدوم الحملة الصليبية الأولى أنهم لم يعيشوا في تجمعات سياسية مستقلة، ولكنهم عاشوا في الدولة الإسلامية كأقلية دينية تتمتع بالحريات الدينية والاقتصادية حسب ما نص عليه الإسلام⁽³⁹⁾.

ومن الفرق اليهودية التي ذكرها الرحالة عوبديا الريانيون وكان تركيزهم في الخليل حيث ذكر أنها كانت تشتمل على عشرين أسرة وقد وصفهم من الذين أجبروا على ترك دينهم إلا أنهم عادوا إليه مرة ثانية وعند عودة عوبديا إلى الخليل مرة أخرى في عام 895هـ/1490م وقدم في خطابه لليهود وقال: "إن إقامتي في هذه البلدة محبة إلى قلبي أكثر من إقامتي في القدس، إذ أن أعداد اليهود في الخليل قليلة كما أنهم طيبون وليسوا سيئين مثل أولئك الذين بالقدس... ولا يندس فيما بينهم مسلم"⁽⁴⁰⁾، وهذا القول يؤكد أن أعداد اليهود ظلت ثابتة إلى القرن الخامس عشر

(37) التطيلي، رحلة، ص93، 111 غوانمة، نيابة، ص122.

(38) براور، الاستيطان، ص282.

(39) قاسم، رؤية، ص42.

(40) Obadiah, op.. p249cit (40)، نقلا عن السيد، اليهود، ص117.

الميلادي دون تغير، وقد أكد حديثه أنهم عادوا إلى دينهم في ظل المجتمع الفلسطيني الخليلي ووجود طائفة الريانيين في الخليل جعل منهم مجتمعاً متجانساً حتى أنه فضلهم على من بالقدس من اليهود، وقد أكد (عوبديا) ظاهرة اجتماعية مهمة بين اليهود في الخليل وهي استقبال زوارها العرب والأجانب بحفاوة وعنهما يقول "إن الخليل وما يضمه من حقول وأراض مجاورة موقوفة على مغارة الأنبياء(أي الحرم الخليلي) إذ يتم توزيع الخبز، والعدس، وربما البقوليات الأخرى، على الفقراء كل يوم دون تمييز بين عقيدة كل منهم وهذا تكريم لإبراهيم"⁽⁴¹⁾.

وتحدث (عوبديا) عن اليهود في الجهاز الإداري للدولة المملوكية أن الرجل الذي يشرف على شؤون اليهود يسمى "النجيد اليهودي"، وكان يتخذ لنفسه مقراً في القاهرة وذكر اسم لهذا النجيد سنة 888هـ/1483م-908هـ/1502م وكان يدعى (الراي ناثان هاكوهين) وهو رجل غني وحكيم وتحدث على أنه انتقل إلى القدس حيث أخبر في خطابه الثاني قائلاً: "وإني أسكن هنا بالقدس في البيت الخاص بالنجيد الذي قام بتعييني حاكماً"⁽⁴²⁾. وهو الأمر الذي له أهمية كبيرة في المجتمع اليهودي خاصة في استقبال الغرباء واستضافتهم بكل كرم⁽⁴³⁾.

وقد أكد (القلقشندي) أن اليهود افرقوا إلى فرق كثيرة، المشهور منها طائفتان والمتفق على يهوديتهما وهما طائفة القراؤون والريانيون⁽⁴⁴⁾. ويلاحظ أنه لم يذكر السامرة من الفرق المشهورة مما يدل على أنه لم يعتبرها من الفرق اليهودية، أما عن أعداد اليهود في فلسطين في القرن الخامس عشر فقد تطرق لها (عوبديا) حيث

(41) Obadiah ، p249cit.op. نقلا عن السيد، اليهود، ص117.

(42) Obadiah ، p229.cit.op. نقلا عن السيد، اليهود، ص157.

(43) السيد، اليهود، ص157.

(44) صبح، ج13، ص259-270.

ذكر أن عدد سكان اليهود في غزة ما بين الخمسين والستين أسرة وهم يمتلكون معبداً صغيراً و لكنه جميل حيث تحيط به المنازل والحقول الخاصة به⁽⁴⁵⁾، وذكر أن جماعة اليهود في مجتمع غزة أكثر منهم في القدس⁽⁴⁶⁾. ومن الممكن أن تكون حيث ذكر الرحالة اليهودي (عوبديا) أن بها هذه الأصناف من أهل الذمة أكثر ممن بالقدس⁽⁴⁷⁾.

الأوضاع السياسية لليهود:

لقد حدثت تطورات خلال العهد المملوكي أثرت في حيات اليهود السياسية خاصة بعد هجوم المغول عي بلاد الشام سنة 680هـ حيث أصدر السلطان المنصور قلاوون بعد خروجه من دمشق قرار بمنع اليهود والنصارى من العمل في دواوين الدولة ومن لم يلتزم يصلب، فأسلموا كرها" وقد كتب لهم جماعة من المفتين بأنهم كانوا مكرهين فلهم الرجوع إلى دينهم، وأثبت الإكراه بين يدي القاضي جمال الدين بن أبي يعقوب المالكي، فعاد أكثرهم إلى دينهم وضربت عليهم الجزية كما كانوا⁽⁴⁸⁾. وهذا يؤكد مسألة وجودهم بطريقة مشبوهة بحجة أنهم أسلموا ويلاحظ أن اليهود قد زاد نفوذهم في الدولة المملوكية ووصل بعض رجالاتهم إلى مركز السلطة في مصر فقد ذكر الرحالة اليهودي ميشولام أن مترجم السلطان المملوكي كان يهودياً من أصل أسباني، وكان يجيد سبع لغات هي العربية والإيطالية والتركية والألمانية والفرنسية إلى جانب اللغة العبرية⁽⁴⁹⁾.

(45) Obadiah, op..p232cit، نقلا عن السيد، اليهود ص115، ص116.

(46) فابري، رحلة، ق4، ج38، ص1258. السيد، اليهود، ص115.

(47) فابري، رحلة، ق4، ج38، ص1246. السيد، اليهود، ص115.

(48) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص346.

(49) قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر: 64.

ويلاحظ أن أحد أهم المترجمين في مدينة القدس 823هـ/1420م هو يهودي يسمى نصر الدين هو من أصل اسباني أعلن إسلامه⁽⁵⁰⁾.

ويحدثنا الرحالة الأوروبي (بيرو طافور) الذي شرع في رحلته إلى الشرق سنة 839هـ/1435م وكان، تاجراً وسفيراً أرسل لبلاط السلطان المملوكي أن ترجمان السلطان من أصل يهودي لكنه أسلم فيما بعد، يقول: "فتلقاني المترجم بالترحاب العظيم وأنزلي في داره، فبقيت به يومين قبل أن أتمكن من رؤية السلطان، وأخذ المترجم طوال هذه الفترة في محادثتي، فسألني الكثير عن نفسي، ولما عرف مني أنني قشتالي الأصل، أشبيلي المولد، امتلأت نفسه غبطة لسماعه هذا النبأ، فقد ولد هو الآخر بها، ودرج طفلاً على ترابها، إلا أنه حمل صغيراً إلى بيت المقدس مع أبيه وكان يهودياً، لكنه أسلم حين مات أبوه، وكان اسمه في بداية الأمر "حاييم" أما الآن فيدعى "صايم"، وقد أراد أن يعرف من أكون ومن أين جئت؟ فلم أكتف عنه شيئاً من خبري لأنتفع بخدماته ونصحاؤه"⁽⁵¹⁾.

أما الرحالة (فابري) الذي زار الأماكن المقدسة في بلاد الشام 888هـ/1483م فقد رسم لنا صورة واضحة عن دور اليهود في الدولة وكيف عملوا كمترجمين في موانئ بلاد الشام وكانوا في استقبال الحجاج واصطحبهم للاماكن الدينية المقدسة وكذلك الأماكن السياحية⁽⁵²⁾.

وهذا إدراك ذكي من اليهود محاولتهم السيطرة على مؤسسة هامة من مؤسسات الدولة المملوكية التي تمكنهم من الاطلاع على العلاقات الدبلوماسية بين الدولة وغيرها من دول الغرب الأوربي وهي بمثابة وزارة الخارجية في العصر الحاضر.

(50) علي السيد، الترجمة في العصر المملوكي، ص162.

(51) طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي: 64-65.

(52) فابري، رحلة، ق4، ج38، ص1246. السيد، اليهود، ص115.

وفي العام 913هـ/1507م قدم إلى بلاد الشام رحالة يدعى (جارتن) الذي قال: "توجهنا في حماية اليهودي الذي كان يعمل ترجماناً لنا والعربي الذي قام بحراستنا لمشاهدة الأماكن المقدسة"⁽⁵³⁾.

وبناءً على ما تقدم فإن عدداً منهم قد برعوا في الترجمة وإتقان اللغات المختلفة، كما برعوا في التجارة والطب والصرافة وغيرها من المهن المهمة آنذاك.

دور اليهود إبان الغزو المغولي:

ويبدو أنه كان لليهود دور تخريبي بسبب علاقتهم مع المغول في ظل تعرض دولة المماليك في الشام لهجومهم فعندما هاجم المغول مدينة حلب في ثاني صفر من 658هـ/يناير 1260م وأحكموا حصارها بحفر خندق حولها عمقه قامة، وعرضه أربعة أذرع، وبنوا حائطاً بارتفاع خمسة أذرع، ثم نصبوا عليها عشرين منجنيقاً وشرعوا في رميها بالحجارة ونقب أسوارها ومهاجمتها من كل الجهات، حتى اضطر إلى التسليم في التاسع صفر من 658هـ إلى يناير 1260م، ولما ملكوها غدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ونهبوا الدور وسبوا النساء والأطفال، ثم استباحوا المدينة خمسة أيام عاثوا فيها فساداً حتى امتلأت الطرقات بجثث القتلى، ويقال إنه أسر من حلب زيادة على مائة ألف من النساء والصبيان، ولم يسلم من أهل حلب إلا من التجأ إلى دار شهاب الدين بن عمرون، ودار نجم الدين، ودار البازيد، ودار علم الدين قيصر الموصلية، والخانقاه التي لزين الدين الصوفي وكنيسة اليهود بفرمانات كانت بأيديهم وقيل أنه سلم بهذه الأماكن من القتل ما يزيد عن خمسين ألف نفس⁽⁵⁴⁾.

(53) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ص104.

(54) المقرئزي، السلوك، ج1، ص517.

ومن الملاحظ أن الاتفاق بين اليهود والمغول جلب لهم الولايات وخاصة في مدينة دمشق فبعد تحريرها فقد أشار ابن كثير إلى هذا القول فذكر: واتبع الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب وهرب من بدمشق منهم وكان هربهم منها يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان صبيحة النصر الذي جاءت فيه البشارة بالنصر على (عين جالوت) فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون ويأسرون وينهبون الأموال فيهم ويستفكون الاسارى من أيديهم قهراً والله الحمد والمنن على جبره الإسلام ومعاملته إياهم بلطفه الحسن، وجاءت بذلك البشارة السارة، فجاوبتها البشائر من القلعة المصورة وفرح المؤمنون يومئذ بنصر الله فرحاً شديداً، وأيد الله الإسلام وأهله تأييداً وكُتبت أعداء الله النصارى واليهود والمنافقون وظهر دين الله وهم كارهون ونصر الله دينه ونبيه ولو كره الكافرون، فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التي خرج منها الصليب فانتهبوا ما فيها، وأحرقوها وألقوا النار فيما حولها، فأحترقت دور كثيرة للنصارى، وملاً الله بيوتهم وقبورهم ناراً، وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة، وهمت طائفة بنهب اليهود، فقبل لهم: إنهم لم يكن منهم فيما ظهر من الطغيان، كما كان من عبدة الصُّلبان، وقتلت العامة في وسط الجامع شيخاً رافضياً، كان مصانعاً للتتار على أموال الناس يقال له الفخر محمد بن يوسف الكنجي، كان خبيث الطوية ممالئاً لهم على أموال المسلمين وقتلوا جماعة مثله من المنافقين المماليك على المسلمين⁽⁵⁵⁾.

(55) البداية والنهاية، ج 17، ص 402.

وتجدر الإشارة أن الإجراءات العقابية لم تلحق باليهود فقط بل شملت أيضا المسلمين المتواطئين مع المغول ويؤكد ذلك المقرزي بقوله: "ثار أهل دمشق بجماعة من المسلمين كانوا من أعوان التتار وقتلوهم"⁽⁵⁶⁾.

أما على مستوى الحكام فقد فرضت على اليهود بعض العقوبات التي ترتبط بسلوكهم "فعندما اعتنق غازان الإسلام. والتزم له النصر وهدم البزخانات (يبدو المقصود بها الخمارات) وكسر الأصنام وفرق سدننها ألزم اليهود والنصارى بالجزية والصغار"⁽⁵⁷⁾.

وتشير الوثائق التي تتعلق بالعصر المملوكي في بلاد الشام وخاصة في مدينة القدس إلا أن اليهود تمتعوا بنوع من العدالة الاجتماعية أسوأ بطوائف بلاد الشام الأخرى ففي سنة 795هـ/1393م حيث نظر النائب في مدينة القدس لشكوى مقدمة من شيخ المغاربة في القدس وسوء معاملة والي المدين لليهود وحجره على تركة أحد اليهود ليستولي عليها مما دفع النائب لتطبيق إجراءات من شأنها حماية اليهود داخل المدينة⁽⁵⁸⁾.

وقد وصف لنا ابن شهبة بعض هذه الإجراءات ومن قام بها هم مجموعة من القضاة والفقهاء قد تدخلوا لدى السلطات وكانوا يحملون مرسوم من النائب سنة 796هـ/1394م لتحويل كنيس لليهود إلى مسجد وتم تعيين إمام "وأقيمت فيها

(56) المقرزي، السلوك، ج1، ص517. د. فايد. الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول ص، 122، 123.

(57) سبط ابن العجمي، كنوز، ص620.

(58) العسلي، كامل جميل، وثائق مقدسية، ج1، ص271-272.

شعائر الإسلام" هذا الأمر دفع اليهود لتقديم شكوى للسلطان وتم إيقاف هذه الإجراءات ثم أعيدت إلى اليهود⁽⁵⁹⁾.

موقف الدولة المملوكية من التجاوزات ضد اليهود:

وقد تميزت الفترة المملوكية بوع من العداء في بعض الأحيان بين اليهود والسلطة من جهة والسكان من جهة أخرى ويرجع عاشور سبب العداء لليهود وأهل الذمة بشكل عام إلى:

1. أن الحروب الصليبية بثت روح العداء بين المسلمين وغير المسلمين في مصر والشام.

2. رغبة سلاطين المماليك في الظهور بمظهر حماة الدين لدعم مركزهم في نظر المسلمين.

ويذكر أيضاً أن سلاطين المماليك حسدوا أهل الذمة على ثروتهم، وطمعوا في الاستيلاء عليها، وهم مطمئنون إلى أنهم لن يتعرضوا في هذه الحالة لنقد أو معارضة الفقهاء⁽⁶⁰⁾.

من اللافت للنظر موضوع توتر العلاقات مع المجتمع الشامي نفسه ففي العام 721هـ/1321 حيث قدم البريد من دمشق بخدم كنيسة لليهود بدمشق، على يد العامة⁽⁶¹⁾. وربما يكون هذا التصرف صادر عن ردة فعل لبعض التصرفات اليهودية المثيرة للمشاعر عند الناس.

ومن هذه الإجراءات ما قام به بعض رجال الدولة ممن يمتلكون صلاحيات للاعتداء على اليهود كما هو الحال في سنة 798هـ/1396م حيث طلب قاضي

(59) تاريخ، ج3، ص432.

(60) المجتمع، ص49، ص50.

(61) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص426.

القضاة المحتسب - بدر الدين - حسن بن منصور وعززه بسبب ضربه يهوديا ضربا مبرحا بالعصى والدرّة حتى ادماه بغير سبب موجب شرعا وكتب فيه حضر⁽⁶²⁾.
ويبدو أن المماليك في بلاد الشام كانوا يلجؤون ما بين الغينة والأخرى إلى بعض الإجراءات تغيير القانونية أو الشخصية ضد أهل الذمة فعندما كانت تصل هذه المعلومات للسلطات العليا في الدولة كانت ترد هذه الإجراءات الظالمة حسب رأي المؤرخ ابن حجر عن اليهود بصفتهم مواطنين في بلاد الشام لهم حقوقهم ففي سنة 803هـ/1400م منع (يلبغا السالمي)⁽⁶³⁾. اليهود والنصارى من دخول الحمامات إلا بشعار يعرفون به نساء ورجالاً وشدد في ذلك فعندما بلغ نائب الغيبة⁽⁶⁴⁾ نادى بإبطاله ثم وصل كتاب السلطان وفيه أن (يلبغا السالمي) لا يحكم إلا فيما يتعلق بالديوان المفرد خاصة وكان السالمي عند سفر السلطان استنجز مرسوماً بأنه يحكم في الأحكام الشرعية وكتب له عليه قضاة القضاة، فلما وقع الخلاف بينه وبين نائب الغيبة سعى عليه في إبطال ذلك فتم له ما أراد وأمر بان ينادى في البلد: من وقف (ليلبغا السالمي) في شكوى عوقب ومن له على السالمي ظلامة

(62) ابن قاضي ، تاريخ، ج3، ص577.

(63) لبغا السالمي (.. - 811 هـ = .. - 1409 م) يلبغا أبو المعالي السالمي الظاهري الحنفي: من أشهر أمراء الجند في دولة الملك " الظاهر " بقوق، ثم ابنه " الناصر ". كان يذكر أنه سمرقندي سماه أبواه يوسف، وسي فجلب إلى مصر مع تاجر اسمه " سالم " فنسب إليه، واشتره بقوق. ولما خلع بقوق (سنة 791) أخذ يلبغا مدينة صند باسمه، فعرف له ذلك بعد عودته إلى الملك ينظر الأعلام للزركلي، ج 8 ، ص 208.

(64) أما نائب الغيبة: وهو إذا خرج نائب السلطنة في مهمّ أو متصيّد أو غير ذلك؛ وإليه ترد المراسيم السلطانية بقبض نائب السلطنة إذا أراد السلطان القبض عليه، ويكون هو المتصدّي لحال البلد إلى أن يقام لها نائب. القلقشندي، صبح، ج4، ص225.

يرفعها لنائب الغيبة ثم أمر بكتابة محضر بأحوال السالمي وما هو فيه من الهوج، وكان السالمي يومئذ غائباً فلما رجع وبلغه ذلك أهان الذي كتب⁽⁶⁵⁾.

وكانت زيارته سنة 895هـ/1490م أواخر الدولة المملوكية، ووصف فيها بعض المجتمعات اليهودية في القدس والخليل، وظهر في حديثه نزعة عنصرية حيث فضل بعضهم علي بعض⁽⁶⁶⁾ وفي المنطقة التي تقع بين القدس والخليل لم يذكر (عوبديا) اليهود أياً من الأسر اليهودية في حين ذكر المعاصرون وجود سبعة بيوت يهودية متطرفة بطول المسافة ذاتها، وفي حديثه عن مدينة القدس ذكر أنه قابل يهودياً من الإشكينا، وهو رجل تلقى تعليمه في إيطاليا اسمه الرابي يعقوب كولومبانو (اليهودي)، ووصف مدينة القدس بأنها مهجورة، يعمها الخراب، ومنازلها من الحجر، وليس من خشب أو ملاط⁽⁶⁷⁾، ويبدو أن عوبديا اليهودي إنما أراد الإساءة إلى المسلمين حين وصف مدينة القدس تحت حكم المماليك المسلمين بأنها خراب إذ يتنافى هذا الوصف مع ما أورده المصادر المعاصرة من أنّ مدينة القدس مدينة عظيمة، وهذا (العلمي) يصف بيت المقدس فيقول: "وأما مدينة القدس الشريف في عصرنا فهي مدينة عظيمة محكمة البناء بين جبال وأودية وبعض بناء المدينة مرتفع على علو وبعضه منخفض في واد وشوارع المدينة بعضها سهل، وبعضها

(65) انباء الغمر، ج2، ص142. لقد ورد عند ابن إياس، أن شكل الثوب يحدد ديانة المرأة في عهد يلبغا السالمي، فالإزار الأزرق خاص بنساء النصارى، والأصفر خاص بنساء اليهود، وكانت هذه التفرقة بأمر الحاكم، قال ابن إياس: نُودِيَ في الدولة سواء مصر أو الشام، أنّ الأمير يلبغا السالمي، أمر، أنّ نساء النصارى يلبسن أزراراً زرقاء، ونساء اليهود يلبسن أزراراً صفراء " ينظر ابن إياس بدائع الزهور، ج.

(66) Obadiah, op..p249cit (66)، نقلا عن السيد، اليهود، ص117.

(67) Ibid p 233. ص119، نقلا عن السيد، اليهود، ص117.

وعر⁽⁶⁸⁾، هذا فضلاً عن أنّ عوبديا ناقض نفسه حين وصف مدينة القدس في موضع آخر بقوله: "أسواق من أجمل ما رأيت فكيف تكون المدينة خراباً وبها أسواق جميلة جداً وذكر أنواع الأسواق منها القطانين، وسوق العطارين، وسوق القماحين، والبصالين، وسوق الحبانين"⁽⁶⁹⁾.

وقد ذكر أن أعداد اليهود في سنة 893 هـ/1488م بثلاثمائة أسرة، وقد أكد بعض من جاء بعده، أن عددهم أخذ في التراجع⁽⁷⁰⁾، ويرجع سبب ذلك إلى انتشار الفوضى في المدينة على عهد السلطان الأشرف قايتباي⁽⁷¹⁾، (873هـ/1468-1469م) وهو العام التالي لاعتلائه السلطنة حيث وقعت الفتن والاختلاف بين الأكابر في القدس والخليل بسبب سوء تدبير الناظر⁽⁷²⁾.

ويرجع البعض سبب ما ألم باليهود من المآسي في العهد المملوكي أنهم كانوا ينظرون لهم نظرة شك وريبة والمماليك متواطئون مع خصومهم الأتراك العثمانيين⁽⁷³⁾. أما العام 903هـ/1497م كذلك أخذت فيه الدولة إجراءات للتخفيف عن اليهود فعندما جاء الأمر من السلطات العليا من مصر إلى دمشق خاصكي، وتلقاه

(68) الأونس، ج2، ص50.

(69) المصدر نفسه، ج3، ص30، ص50، ص68، ص389.

(70) Obadiah، op..p249cit نقلا عن السيد، اليهود، ص121.

(71) أصل الملك الأشرف قايتباي هذا أنه جاركسي الجنس جلب من بلاده إلى الديار المصرية في حدود سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فاشتره الملك الأشرف برسباي ولم يجر عليه عتقا وجعله بطبقة الطازية من أطباق قلعة الجبل وتدرج في الوظائف حتى أصبح سلطاناً: ينظر ابن تغري، النجوم ج16، ص395

(72) العليمي، الأونس، ج2، ص285. السيد، اليهود، ص121.

(73) السيد، اليهود، ص125.

القضاة الكبار على العادة، بمراسيم شريفه بأن لا يجحف على اليهود في أخذ الجزية بل بالمعروف⁽⁷⁴⁾.

المحور الثاني: الأوضاع الدينية لليهود في بلاد الشام.

الطوائف اليهودية في بلاد الشام في العهد المملوكي.

الفرقة الأولى: الريانيون:

وأصل التسمية تحريف للكلمة العبرية "ريانيم" التي تعني الأمام أو الحبر أو الفقيه و يعود سبب التسمية إلى أن الريانيين أخذوا بتفسيرات أحبار اليهود وعلمائهم التي تضمنها التلمود والمشناه⁽⁷⁵⁾ وقد وردت كلمة (الريانيين) في القرآن الكريم في أكثر من موضع في قوله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً"⁽⁷⁶⁾.

وينفرد الريانيون عن بقية الطوائف اليهودية بشرح الفرائض في التوراة ويذهب الريانيون إلى تأويل ما في التوراة كما تفعل الأشعرية من المسلمين ويقولون بالقدرية أي بسابق القدر، ومن أعظم أنواع الكفر عندهم تعبد فرعون وهامان، ومن أعظم العظائم عندهم أيضاً الأخذ بدين النصرانية وتصديق مريم عليها السلام⁽⁷⁷⁾، وينكرون خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام ومن الأمور التي يستعظمونها الشرب من النهر الذي ابتلى به قوم طالوت (ملك بني إسرائيل) والميل إلى جالوت (ملك

(74) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج1، ص104.

(75) قاسم، عصر، ص258.

(76) سورة المائدة: آية 43.

(77) القلقشندي، صبح، ج13، ص260-261.

الكنعانية) ويقال: "إن هذا النهر بين الأردن وفلسطين قد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي" إلى قوله تعالى: "وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ"⁽⁷⁸⁾ وقد وصفت هذه الطائفة بأنها "الشعب الأكبر والحزب الأكثر ولهذا السبب كانت رئاسة اليهود منهم في العصر المملوكي، وهذا ما أكدته نص وثيقة تعيين رئيس لهم أوردتها القلقشندي سنة 684 هـ/1285م⁽⁷⁹⁾.

وقد اختلف الريانيون في قضية حساب السنين والشهور مع الطوائف الأخرى ضد اليهود التي تعمل برؤية الأهلة كما هي عند المسلمين "فيقع عند اليهود في رؤوس السنين والشهور اختلاف"⁽⁸⁰⁾ وقد أكد (عوبديا) الذي زار القدس في القرن الخامس عشر على هذا الخلاف الذي حدث في التقويم بين طوائف اليهود، وقد أكد أيضاً على أن اليهود في مصر كانت تتبع رئاسه اليهود في فلسطين في العصر المملوكي الواقعة في القدس حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي⁽⁸¹⁾. ودفع طائفة الريانيين هذا الاختلاف إلى اختلاف في إحدى الشعائر الدينية وهي الصوم؛ لأنهم يتبعون الحساب في تحديد رؤوس الشهور⁽⁸²⁾. ومن الأسماء الأخرى لهؤلاء الريانيين

(78) سورة البقرة، آية 247.

(79) القلقشندي، صبح، ج11، ص379، ص381.

(80) ابن تغري، النجوم، ج14، ص313.

(81) Obadiah، op..p228cit نقلا عن السيد، اليهود، ص98.

(82) السيد، اليهود، ص100.

التلموديين وقد أشار (عوبديا) أن معظم هذه الطائفة من الفقراء إلا أنه يذكر أحياناً وجود أغنياء بين التلموديين في فلسطين⁽⁸³⁾.

الفرقة الثانية: القرآنيين

الذين أشتق أسمهم من الكلمة العبرية التي تعني "قرأ" وذلك؛ لأنهم يؤمنون بغير التوراة المكتوبة التي يمكنهم قراءتها ومن ثم فأهم لم يكونوا يعترفون بما جاء في التلمود أو في غيره من الكتب التي اعترف بها الريانيون⁽⁸⁴⁾. وقد أتفق على "استخراج ستمائة وثلاث عشرة فريضة من التوراة يتبعون به"⁽⁸⁵⁾.

وهذا يؤكد القول السابق بأنهم يعتمدون على حرفية النص من التوراة ولا يعتمدون على التسهيلات الواردة في التلمود⁽⁸⁶⁾ ويرجع نشأة هذه الطائفة إلى "عنان بن داود" سنة 800هـ/1397م الذي دعا إلى مذهب جديد بسبب الخلاف الذي نشب بينه وبين أخيه الأصغر "حنانيا" حول تولي منصب رأس الجالوت (أي رئيس الطائفة اليهودية في العالم الإسلامي)⁽⁸⁷⁾. ويعتمدون في التقويم على الأهلة كما هو الحال عند المسلمين، وهو ما سبق ذكره أنهم يضبطون رؤوس سنينهم وشهورهم برؤية الأهلة كما هو عند أهل الإسلام، فيقع الاختلاف فيما بينهم وبين الريانيين في رأس السنة⁽⁸⁸⁾. والقراءون يقولون بسابق القدر⁽⁸⁹⁾. أما في قضية الصوم، فقد ذكر

(83) Obadiah، op.p227-231cit نقلا عن السيد، اليهود، ص98. لمزيد ينظر:

أبوشلوف، الأوضاع الاجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي، ص44-49.

(84) قاسم، عصر، ص259، ص260.

(85) القلقشندی، صبح، ج13، ص260.

(86) الأغا، الأوضاع، ص172، ص173.

(87) قاسم، عصر، ص260.

(88) ابن تغري، النجوم، ج14، ص363.

(عوبديا) "والقراؤون بالقاهرة يصومون في يومي السابع والعاشر من شهر آب" الموافق طبقاً للتقويم اليهودي بعضاً من شهري يوليو وأغسطس وهم في ذلك يختلفون عن الربانيين⁽⁹⁰⁾ ويتفق القراؤون والربانيون على أنهم يستقبلون صخرة بيت المقدس في صلاتهم، ويوجهون لها موتاهم لأن الله كلم موسى عليه السلام على طور سيناء⁽⁹¹⁾. وهو ما أكده العمري سنة 749هـ/1348م في قوله "والصخرة قبلة اليهود الآن وإلى القدس حجهم"⁽⁹²⁾.

أما الفرقة الثالثة: فرقة السامرة :

يرجع تاريخ هذه الفرقة إلى الفترة التي أعقبت تدمير مملكة إسرائيل التي انشقت على مملكة سليمان بعد وفاته، و قد تم تدمير هذه المملكة على يد الملك الأشوري "نغلب فلاسر" في سنة 738 ق.م، وقد أجلي اليهود عن فلسطين، وأسكنهم منطقة شمال إيران الحالية، وجلب قبائل لتسكن في مدينة السامرة القديمة بدلاً من اليهود ويعتمد أصحاب هذا الرأي على نص من الكتاب المقدس يحكي هذه الحادثة وهم بذلك يصفون السامرة بأنهم حثالة من الأجانب المتعاونين مع أعداء اليهود⁽⁹³⁾، وأنهم وثنيون مشركون وأطلقوا عليهم اسم "شومرونيم" أي السامريون،

(89) القلقشندي، صبح، ج13، ص261.

(90) Obadiah, op..p226cit نقلا عن السيد، اليهود، ص100.

(91) القلقشندي، صبح، ج13، ص260.

(92) مسالك الأبصار، ج3، ص278.

(93) قاسم، عصر، ص261، ص262.

لكن السامريين حرّفوها إلى "شونيم" أي المحافظين بدعوى أنهم أصحاب الدين الموسوي الأصلي⁽⁹⁴⁾.

ويذهب البعض إلى أن نشأتهم كانت زمن السبي البابلي سنة 586 ق.م؛ لأنهم بنو هيكلمهم المقدس فوق جبل حرزيم القريب من مدينة نابلس في هذا التاريخ، ويتهمهم اليهود بأنهم تعاونوا مع الرومان أثناء ثورة اليهود ضد الحكم الروماني، ومنحهم الرومان مقابل هذه المساعدة أن سمحوا لهم ببناء مدينة السامرة القديمة (شكيم)⁽⁹⁵⁾. وهم أتباع السامري⁽⁹⁶⁾ وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم حيث قال تعالى: "وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَمَّ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ"⁽⁹⁷⁾. وفي قوله: "وأضلهم السامري"⁽⁹⁸⁾.

وقد اختلف في السامرة: هل هم من اليهود أم لا؟ والقراؤون والريانيون ينكرون كون السامرة من اليهود، وقد قال الشافعية: إن وافقت أصولهم أصول اليهودية فهم منهم⁽⁹⁹⁾.

ثم إن السامرة لهم تورا خاصة غير التوراة التي بيد القرائين والريانيين، والتوراة التي بيد النصارى ينفردون بها عن الطوائف السابقة بإنكار نبوة من بعد موسى ما عدا هارون ويوشع عليهما السلام، ويخالفون أيضاً في استقبال صحرة بيت المقدس

(94) الأغا، الأوضاع، 173.

(95) قاسم، عصر، ص 261، ص 262.

(96) القلقشندي، صبح، ج 13، ص 270.

(97) سورة الأعراف، الآية رقم 85.

(98) سورة طه، الآية 85.

(99) القلقشندي، صبح، ج 13، ص 271.

ويستقبلون طور نابلس ويوجهون إليها موتاهم، ويزعمون أن الله كلم سيدنا موسى من عليها⁽¹⁰⁰⁾، وإلى طورها حج السامرة⁽¹⁰¹⁾، وأما "التوراة العبرانية التي بأيدي اليهود، والتوراة السامرية وكل واحدة منها مبطولة ولا عمل عليها والله أعلم"⁽¹⁰²⁾.

وهذا ما أكده الاختلاف في التوراة بين اليهود من مختلف الطوائف والسامرة ويؤكد أيضاً أن التوراة لم تكن مكتوبة بلغة واحدة.

وبالفعل هو ما أكد عليه (عوبديا) "أن لدى السامريين الكتب الخمسة الخاصة بموسى فقط وهم لا يؤمنون سوى بالإسفار الخمسة، التي تمثل القسم الأول من العهد القديم"⁽¹⁰³⁾، وقد ذكر أن هؤلاء السامرة انقسموا إلى عدة أقسام، فيقسمهم (عوبديا) إلى الكوثانية، والدوثانية. وترجع هذه الطوائف إلى السامريين، في حين أن البعض قسمهم إلى ثلاثة أقسام؛ هي: (الدوسيثيان والجروسينية والماسبوثانية)⁽¹⁰⁴⁾.

ومن هنا يمكن ملاحظة الاختلاف العقائدي والديني بين السامرة ومختلف طوائف اليهود، من الريانين والقرائين، وهو ما تم تأكيده في خطابات (عوبديا) والسامريون موضع بغض واستنكار من اليهود نظراً لأنهم يقدمون الأضحى، ويجرقون البخور على جبل جرزيم⁽¹⁰⁵⁾.

أما فيما يخص الأشراف على طائفة السامرة فقد ذكر أن الحكم والقضاء بينهم على أساس دينهم، والموجودون من اليهود ثلاث طوائف وهم: الريانيون والقراؤون

(100) المصدر نفسه، ج13، ص 271-272.

(101) العمري، مسالك، ج3، ص279. السيد، اليهود، ص104.

(102) العليمي، الأنس، ج1، ص156. المقدسي، البدء، ج5، ص30.

(103) Obadiah, op..p225cit نقلا عن السيد، اليهود، ص104.

(104) السيد، اليهود، ص105.

(105) السيد، اليهود، ص105.

والسامرة وقد جرت العادة أن يكون الرئيس من طائفة الريانيين وهو يحكم الطوائف الثلاثة⁽¹⁰⁶⁾، وقد دلت الوثائق المملوكية على هذا القول الذي أورده القلقشندي⁽¹⁰⁷⁾.

ويبدو أنه قد أباح لكل من السامرة والقرايين رئيساً مستقلاً في فترة متأخرة من عصر السلاطين المماليك⁽¹⁰⁸⁾، ووردت إشارة تدل أن بعض السامرة اعتنق الإسلام، وكان "محمد بن عبد الله الصفد من مسلمة السامرة... وسكن دمشق"⁽¹⁰⁹⁾.

وذكر في 27 رمضان 658هـ/4 أيلول 1260م أي بعد استيلاء المماليك على الحكم في بلاد الشام وطرده التتار وكان هذا العام دماراً على اليهود فقد جرت ضدّهم مذبحه بسبب تعاونهم مع التتار ضد المسلمين أثناء عملية الاحتلال⁽¹¹⁰⁾. وفي عام 664هـ/1265م خرج السلطان الظاهر بيبرس من غزة إلى الخليل والقدس ومنع أهل الذمة من دخول الخليل حيث كانوا يدخلونها مقابل مال يؤخذ منهم⁽¹¹¹⁾.

ويبدو أن وجود اليهود في بلاد الشام ارتبط بإشكال ولاسيما أن النصوص تشير إلى أنهم كانوا دائمي العرصة للمحاكمات من الفقهاء المسلمين ففي

(106) القلقشندي، صبح، ج11، ص978-379.

(107) القلقشندي، صبح، ج11، ص379 ينظر الملاحق(2).

(108) قاسم، عصر، ص63.

(109) السخاوي، الضوء، ج8، ص116.

(110) الصفدي، الوافي، ج8، ص227. ابن كثير، البداية، ج13، ص221. ابن خلدون،

ج5، ص424. حطيط، قضايا، ص149.

(111) المقرئ، السلوك، ج2، ص33. الدباغ، بلادنا، ج9، ق2، ص72.

العام 886هـ/1481م على عهد وجود جانم حكم في قضية إسلام يهودية كانت لها تداعيات بين الفقهاء المسلمين واختلاف حول صحة إسلامها حيث إنَّها "توقفت وعرض عليها القتل" ويذكر أنَّها استمرت على الإسلام وتزوجت من مسلم وأنجبت ولها أولاد وأولاد أولاد والوارد في هذه القضية أن قاضي الشافعية امسك بهم ونقل قضيتهم إلى النائب وتم تسليمهم للسلطات القضائية المخولة للنظر في قضيتهم وأن يتم التحفظ "عليهم بتلطف"⁽¹¹²⁾ مما يدل على رفق السلطات المملوكية في معاملاتها لليهود في بلاد الشام.

ونتيجة أهمية هذه القضية نظر فيها في "دار النيابة" بحضور شخصيات من كبار المسؤولين في بلاد الشام ومنهم علاء الدين أمير سلاح وهو الذي باشر هذه القضية بنفسه وتحفظ على المسوكين ويذكر ابن طوق أن أغلب من حضر هذه القضية كانوا من الحساد "يزيدوا وينقصوا في الكلام"⁽¹¹³⁾.

ويبدو أن قضية إسلام اليهود كانت من القضايا الهامة لدرجة أنها كانت مسألة خلاف فقهي بين فقهاء المذاهب الأربعة، بينما تؤكد المعلومات الواردة عن هذه القضايا أن اليهود لم يعارضوا إسلام اليهود بدليل ما قاله (ابن طوق) في القضية السابقة الذكر: "أن اليهود أقامت بينات بأن المرأة المتقدم ذكرها مسلمة وحُكم بإسلامها وأن هؤلاء الموجودين أولادها وأولاد أولادها وكانوا صغاراً فحكم الشافعي (القاضي) بإسلام البعض ما لم يمنع مانع شرعي والبعض أخرج صورة ثانية محكوم فيها على قاضي المالكي السبتي بإبقائهم على الكفر فتوقف المالكي في

(112) ابن طوق، التعليق، ج1، ص87.

(113) التعليق، ج1، ص87.

ذلك فلزم توقف الشافعي فالبعض للجهل والبعض للرشا"⁽¹¹⁴⁾. ويمكن استنتاج أمور هامة من هذا النص عن اليهود وهو إنجازهم الكثير من قضاياهم في بلاد الشام عن طريق الرشوة والواسطة وفساد مؤسسة القضاء لأن الحكم الصادر غير موضوعي إما يرجع للجهل بالشرع والنصوص الدينية أو نتيجة تقديم الرشوة للفقهاء.

وكانت لهذه القضية تداعيات كبيرة جداً بين المجتمعين وهم من كبار الشخصيات مثل البصري وكتاب السر والقضاة واحتج القاضي الشافعي بأن المالكى وجماعة يكتبون على محضر الشهود بالبطلان لأحكام بإسلامهم ولكن الواضح أنه حدث خلاف حول مكانة القضاة ودرجاتهم ووقوفهم في مجلس القضاء وهذا الاجتماع مكون من القضاة الأربعة المالكى والشافعي والحنبلي والحنفي وانتهى المجلس بدون بث واضح في القضايا وكل ما حدث "أن السيد رُسم عليه بدار النيابة"⁽¹¹⁵⁾. والمقصود تم تعريه.

وفيما يتعلق بظاهرة دخول اليهود في الإسلام كانت عامة من المشاهدات الحية لذلك ما رواه ابن طوق في شهر نوفمبر سنة 887هـ/1482م قال: "ورأيت ابن سعيد، اللحام بالعنابة"⁽¹¹⁶⁾، اليهودي ابن اليهودي، مسلماً داخلاً على سيدي الشيخ بالمشهد، ومعه ابن كامل من جوبر كاتبه"⁽¹¹⁷⁾.

ومن النصوص النادرة التي تدل على خضوع اليهود لنوع من المحاكمات الدينية والخلافات على دخول بعض أولادهم في الإسلام ما ذكره ابن طوق في

(114) ابن طوق، التعليق، ج1، ص88.

(115) لمعرفة المزيد ينظر: ابن طوق، التعليق، ج1، ص89887.

(116) منطقة تقع وسط مدينة دمشق: ابن طولون، مفاكهة، ج1، ص390.

(117) ابن طوق، التعليق، ج1، ص210.

سنة 887هـ قائلًا: " حضر الشافعي والحنبلي والسيد كمال الدين بالإسطنبول، بسبب بنت شملة اليهودي العطار، ووقع الكلام الكثير، وآخره أن القاضي الشافعي قال: "أنا مقيم على حكمي بإسلام بنت اليهودي، وأن الحكم الذي معه من نايب المالكي بصفد غير معتد به ولا معمول به " فطلع اليهودي في الترسيم إلى أن يأتي بمن يحضره إذا طلب"⁽¹¹⁸⁾.

وقدم (بيركهارت) صورة واضحة عن محاولة إبراز فكرة التنوع الثقافي من خلال تجسيد فكرة قبول التسامح الديني والسماح للآخر بممارسة شعائره الدينية الأمر الذي يؤكد أن هناك تسامحاً دينياً يفند مقولة أن الدولة العثمانية كانت تحظر ممارسات العبادة للطوائف والأديان الأخرى، فقد قدم (بيركهارت) وصفاً قيماً لليهود في صفد وطبرية، فذكر أن أكبر أحياء بلدة صفد مأهول كلياً باليهود الذين يولون صفد اهتماماً خاصاً باعتبارها مكاناً مقدساً عندهم، وفي الحي مائة وستون عائلة أو مائتان منها أربعون أو خمسون عائلة من أصل بولندي، والباقيون من يهود أسبانيا وشمالي إفريقيا وأحاء مختلفة من سورية. وفسر حرص اليهود على السكن في صفد وطبرية بأنهما من أربع مدن مقدسة وردت في التلمود إضافة إلى القدس والخليل، وفسر قدسية طبرية عند اليهود، لأنه يعتقد أن يعقوب أقام فيها، ولأنها تقع على شاطئ بحيرة طبرية التي منها سيقوم مسيح اليهود حسب رأي التلمود⁽¹¹⁹⁾.

(118) ابن طوق، شهاب الدين، يوميات، التعليق، ج1، ص168-169.

(119) رحلات بيكرهارت في سوريا الجنوبية، ترجمة أنور عرفات، وزارة الثقافة الأردنية، 1969م، ج2، ص 57، 58، 59، 67. لمزيد ينظر: الفاعوري أمجد ممدوح، "رحلات بيكرهارت في شرقي الأردن ودورها في التواصل الحضاري قراءة في مستويات من التواصل" ص13.

ومن القضايا الهامة الجديرة بالإثارة في هذا البحث مسألة منع اليهود من البناء والترميم للأماكن الدينية في عهد بعض السلاطين وربما يكون من الأسباب الرئيسة في حدوث بعض الخلافات بين اليهود والمسلمين في بلاد الشام ومن الإجراءات التي اتخذت ضدهم ما حدث سنة 878هـ/1473م خلافات على دار تقع في المنطقة الواقعة بين كنيس اليهود ومسجد للمسلمين يقع بحارة اليهود أما المسجد فتقع عليه منارة وهو بجانب الكنيس اليهودي والطريق الوحيد من جهة القبلة الذي يوصل إلى المسجد هو على شكل زقاق مستطيل في حارة اليهود، وبجوار المسجد من جهة الغرب دار من جملة أوقاف اليهود فوقع المطر في الشتاء فهدمت الدار المذكورة فكشف باب المسجد من جهة الشارع المسلك فقصد المسلمون الاستيلاء على الدار المهذومة للوصول إلى المسجد منها لكونها على الشارع المسلك فيكون أقرب للمصلين من الدخول عبر الزقاق المذكور لبعده بالنسبة إلى هذا المكان فامتنع اليهود من ذلك ورفعوا أمرهم للقضاة وأظهروا من أيديهم المستند الشاهد لهم باستحقاقهم للدار المذكورة واتصل بثبوته بحكام الشريعة فنازعهم المسلمون في ذلك وزعموا أن الدار المذكورة من حُفوق المسجد⁽¹²⁰⁾.

وانتهى الأمر إلى أن القضاة الأربعة توجهوا بأنفسهم لكشف ذلك وتحريره فجلسوا بالمسجد المذكور وهم القاضي الشافعي والقاضي الحنفي والقاضي الحنبلي وكنتم حاضرا ذلك المجلس فحرر أمر من صالح اليهود وأن الدار من أوقافهم⁽¹²¹⁾.

ويمكن استنتاج سبب توتر العلاقات بين اليهود والمسلمين في مدن الشام والشاهد أحداث مدينة القدس ورفض المسلمون الحكم سابق الذكر وتعصب بعض العوام

(120) العلمي، الأنس، ج2، ص300.

(121) العلمي، الأنس، ج2، ص300-302.

وَتوجِه إلى القَاهِرَة ووقف للسلطان وأهى أن الكنيسة التي لليهود بالقدس محدثة وأن الدار المذكورة من جملة حقوق المسجد وهي بأيدي اليهود بغير حق فبرز مرسوم السلطان بالتظير في ذلك وتحريره وورد الأمر بذلك الى القدس الشريف فعقد مجلس بالمدرسة التنكزية بمجلس ناظر الحرمين بن النشاشيبي بحضور القاضي الشافعي والقاضي الحنفي أما المالكي قدتوفي والحنبلي قد عزل ولزم بيته وحضر بالمجلس شيخ الإسلام نجم الدين بن جماعة شيخ المدرسة الصلاحية وجمع من الفقهاء وقريئ المرسوم الشريف ودار الكلام بين الحاضرين وأقيمت بينه شهدت عند القاضي الشافعي أن كنيسة اليهود محدثة في دار الإسلام فاشهد عليه عند القاضي أنه منع اليهود من اتخاذها كنيسة لما صح عنه من أنها محدثة في دار الإسلام إذ لا دار لهم فتكلم كبير اليهود واسمه يعقوب بكلام يقتضى العند لما أمر به القاضي فانتهره القاضي وقال له: "يا ملعون تنازع في الأحكام الشرعية والله أحضر لك الجلال يضرب عنقك". فهم المسلمون بالبطش باليهود فنهاهم القاضي عن ذلك وكان من لفظه: "يا أمة التوحيد لا يعارضهم أحد فإن هؤلاء ذمة الله وذمة رسوله وذمة أمير المؤمنين" ثم كتب محضرا بما وقع وكتب فيه العلماء والمشايخ خطوطهم وكتب الموثق فيه ما صدر من القاضي الشافعي من منعهم وكتب أن القاضي الحنفي نفذ المنع فلما وقف القاضي الحنفي على المحضر أنكر أن يكون نفذ ذلك ولم يضع خطه على المحضر (122).

وتكررت مسألة هدم الكنائس التابعة لليهود كذلك في مدينة حلب عند الحديث المتعلق بالمدرسة الناصرية فقد ذكر فيها أن "المدرسة كانت قديما كنيسة لليهود. وتعرف بكنيسة مثقال. ثم في سنة سبع وعشرين وسبعمائة حكم قاضي القضاة

(122) العليمي، الأنس، ج2، ص301.

كمال الدين بن الزملاكي بوجوب انتزاع هذه الكنيسة من أيديهم وجعلها فينا للمسلمين بعد أن ثبت عنده أنها محدثة في دار الإسلام. وعمل بما درسا يتعلق بهذه المسألة. ثم بنيت الكنيسة المذكورة مدرسة للعلم. وكتب إلى السلطان الناصر فأمره بعمارة منارة لها وجعل فيها خطبة. وسبب ذلك أنه كان يدرس بالعصرونية التي إلى جانبها فسمع صوت اليهود فسأل عن ذلك فقيل له أنها كنيسة فتقدم بعض الحاضرين وشهد بما تقدم فحكم بذلك⁽¹²³⁾.

ولم يقتصر توتر العلاقات بين اليهود والمسلمين فقط بل تعداه إلى الصراع مع النصارى وتمثل هذا حول ملكية أحد الأماكن الدينية المقدسة في جبل صهيون مما ساهم في توتر العلاقات بين اليهود والنصارى، ويرجع هذا الصراع إلى أوائل القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر الميلادي حول القبو الأرضي من كنيسة علية صهيون التي يمتلكها الرهبان الفرنسيسكان وتمكن اليهود من أخذه من الرهبان زمن السلطان المؤيد شيخ 823هـ/1420م وأعيد للفرنسيسكان ثانية 831هـ/1437م ونظراً لما بذله اليهود من أموال للسلطان برسباي أعيد القبو لليهود وحسماً للنزاع رأى السلطان جقمق تحويل القبو إلى مسجد محافظة على قداسة المكان وإخراجه من هاتين الطائفتين عام 856هـ/1452م وبقي القبو مسجداً للمسلمين ومزاراً للمسلمين والنصارى واليهود حتى أواخر العصر المملوكي⁽¹²⁴⁾.

(123) سبط ابن العجمي، كنوز الذهب في تاريخ حلب، ج 1، ص 334.

(124) العليمي، الأنس، ج2، ص300-302. الطراونة، مبارك محمد، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة (784-922هـ/1382-1516م)، ص94-95.

الأوضاع الاجتماعية لليهود:

وفي سنة 700هـ/1300م أصدر الناصر محمد بن قلاوون قراراً بتميز اليهود بملابس خاصة، فلبس اليهود العمائم الزرق، والسامرة العمائم الحمر، ومن يخالف هذه الأوامر يعرض نفسه للعقاب، فالتزم النصارى واليهود بسائر المملكة في مصر والشام ما أمروا به وصبغوا عمائمهم⁽¹²⁵⁾. وأيضاً لا يركب أهل الذمة فرساً ولا بغلاً، وهذا في عهد الملك المؤيد بن الملك المظفر⁽¹²⁶⁾.

وأكثر من ذلك أنهم منَعُوا من العمل في دواوين الدولة، وأن تكون عمائمهم دون العشرة أذرع وأن لا يدخلوا الحمامات بالصليب في رقابهم، وحتى نساؤهم لا تدخل مع نساء المسلمين وأن يلبس الخف بلونين كل فردة من لون، وقد صدرت هذه الأوامر ضدهم في 752هـ/1351م في عهد الملك الصالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون⁽¹²⁷⁾. حتى أن اليهود والنصارى طبقت عليهم أحكام الإسلام، بشكلها الصحيح، وسبب الإجراءات المملوكية هو فسادهم وابتزازهم للمسلمين، وأطباعهم التي تميل إلى العنصرية، ورغم هذه الإجراءات المملوكية إلا أن اليهود كانوا يعيشون مع المسلمين في المدن و كانت لهم شوارع وحارات خاصة بهم، كما سبق القول أن لهم حارة في القدس⁽¹²⁸⁾، وهذا الوضع يختلف عما قام به الصليبيون ضدهم وممارسة عمليات قتل جماعي وحرقهم، فقد ذكر أنهم أصبحوا منذ الفتح العربي أسعد حالاً مما كانوا عليه تحت حكم الدولة البيزنطية، بسبب ما لقوه من

(125) المقرئزي، السلوك، ج2، ص339. ابن حجر، الدرر، ج5، ص406. ابن كثير، البداية ج14، ص54.

(126) ابن كثير، البداية، ج13، ص35، ج14، ص305.

(127) القرطبي، أخبار، ص286.

(128) العليمي، الأنس، ج2، ص52، ص53، ص56.

تسامح ديني، واستمرت سياسة التسامح اتجاههم طوال فترة الدولة الطولونية والإخشيدية، حتى في العصر الفاطمي ووصلوا إلى أرفع مناصب الدولة⁽¹²⁹⁾.

ورفض (التطيلي) عند حديثه: عن مدينة نابلس أن يعتبر السامرة من اليهود ووصفت هذه الفرقة بالمرطقة الدينية، ولم يعتبر السامرة الموجودين في كل من قيسارية وعسقلان يهوداً⁽¹³⁰⁾

والذي سمح لهم بالعودة إلى المدن الفلسطينية، هو صلاح الدين الأيوبي، وبعد القيام بعملية تحريرها من الصليبيين 587هـ/1191م وخاصة مدينة عسقلان، وبيت المقدس، وعادوا على شكل دفعات ما بين 606-608هـ/1209-1211م وتدفقت أعداد كبيرة منهم في السبعينات والثمانينات من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، واستقرت جماعة منهم في الجليل وفي المدن الساحلية⁽¹³¹⁾. وكان لأوضاع اليهود في أوروبا إبان عصر المماليك دور كبير في هجرتهم إلى فلسطين والاستقرار في المدن، لما لها من أهمية دينية عندهم من ذلك صدور مرسوم من الإمبراطور الألماني "رادولف الهانسبرج" عام 684هـ/1286م ينص على مصادرة أملاك اليهود وما تعرض له اليهود في أسبانية من محاكم التفتيش سنة 661هـ/1263م حيث شارك الحبر اليهودي الإسباني موسى بن نعمان في الجدل الديني وقرر هذا الحبر مغادرة مكانه في مدينة قطالونيا، واستقر في بيت المقدس 665هـ/1267م وكان يستقبل الطلاب اليهود الذين يأتون لتلقي العلم، ويجرضهم على الهجرة إلى الأرض المقدسة⁽¹³²⁾.

(129) عاشور، المجتمع، ص 49.

(130) التطيلي، رحلة، ص 95، 96.

(131) براور، الاستيطان 289.

(132) الأغا، الأوضاع، ص 297، ص 301.

وقد هدمت الكنائس اليهودية في العهد المملوكي كما حصل للنصارى عام 879هـ/1474م وذكرها المؤرخون، وأشهرها واقعة كنيسة اليهود في القدس التي تقع بحارة اليهود قرب مسجد للمسلمين، وكانت تقع بالقرب من هذا المسجد دار من جملة أوقاف اليهود فوق مطر الشتاء وهدم الدار، وحاول المسلمون الاستيلاء عليها لشق طريق؛ لأنه أقرب على المصلين في المسجد فرفض اليهود، ورفعوا الأمر للقضاة، وأظهروا المستند الذي يثبت ملكية الدار، وبالفعل ذهب القضاة وتأكدوا من ملكيتهم وجلسوا في المسجد، وتأكدوا وبأن الدار من جملة أوقاف اليهود فرفض المسلمون، وتوجه بعض العوام إلى القاهرة، وأرسل السلطان مرسوماً للقدس، واجتمع القضاة في المدرسة التنكزية⁽¹³³⁾، وشهد قاضي الشافعية بأن كنيسة اليهود محدثة في دار الإسلام، فتكلم كبير اليهود واسمه يعقوب بكلام يقتضي العند لما أمر به القاضي. فاستغز القاضي وقال له تنازع في الأحكام الشرعية، وأراد أن يحضر له الجند لضربه وهم المسلمون أن ييطشوا باليهودي فنهاهم القاضي عن ذلك⁽¹³⁴⁾.

وهذا يظهر سبب عداة القضاة وعمامة المسلمين في القدس لليهود، إذ يتبين لنا طرق الاحتيال التي سيطر اليهود بها على بعض أراضي المقدسات واستغلالهم تسامح الدين الإسلامي في أغراضهم الدينية الفاسدة، إلا أنهم لم يقفوا عند هذا الحد، بل رفعوا الأمر للسلطان مرة أخرى فطلب من القضاة النظر في الأمر، وجلسوا في المسجد، وسمحوا لليهود أن يدخلوا المسجد، وتداولوا الأمر وقال قاضي

(133) المرجع السابق، ص 17.

(134) العليمي، الأنس، ج 2، ص 300، ص 301، ص 302.

الشافعية: "أنا ما رفعت أيديهم عنها وإنما منعتهم من اتخاذها كنيسة، وأذن لهم أن يتخذوها حانوتاً، وبالفعل منعوا اليهود مرة ثانية من اتخاذها كنيسة"⁽¹³⁵⁾.

ويلاحظ أن قاضي المالكية بالقدس 888هـ/1483م لما حضر إلى المدينة بخلعة السلطان ذكر إعادة كنيسة اليهود، وإعادة ما تخدم لهم، وحصلت في هذه السنة محنة للعلماء المسلمين، وسعى اليهود إلى السلطان لإعادة الكنيسة. وكان يساعدهم يشبك الدوادار الكبير بمال بذلوه ولم يعلم السلطان. وأصدر القاضي الحنفي لهم مرسوماً بذلك، فخرج قاضي الشافعية إلى القاهرة من القدس مستنكراً ما حدث⁽¹³⁶⁾.

ومن العادات السيئة التي كرهت المسلمين في اليهود نشر الرشوة عندما دفعوا المال ليشبك الدوادار مقابل مساعدتهم في إعادة الكنيسة والمنزل دون علم السلطان، ومما يؤكد أن اليهود استخدموا عدة طرق في السيطرة على الأماكن الدينية وكلها بدون مبالغة غير شرعية.

وقد ذكر في شذرات الذهب أن الملك الأشرف قايتباي لم ينتقده أحد سوى ما أمر بإعادة كنيسة اليهود بالقدس الشريف بعد هدمها، وعقوبته لقاضياها ولبعض العلماء، بسبب هدم الكنيسة حتى حملوا إليه وضرب بعضهم بين يديه⁽¹³⁷⁾. وقد أنتشر هدم الكنائس في بلاد الشام بشكل عام حيث هدمت كنيسة اليهود في دمشق ونهبت⁽¹³⁸⁾.

(135) المصدر نفسه، ج2، ص303.

(136) المصدر نفسه، ج2، ص312-313.

(137) ابن العماد، ج8، ص8.

(138) ابن تغري، النجوم، ج7، ص162. الصفدي الوائي، ج13، ص207.

وفي عام 879 هـ/1474م عوقب بسبب كنيسة اليهود التي ببيت المقدس في سنة تسع وسبعين ومسه مكروه كبير من ضرب ووضع في الحديد وحبس وترسيم وغرامة وسب ولعن وغير ذلك مما أرجو مضاعفة الأجر له بسببه وتكلم في المجلس المعقود لهم بكلام متين، وقطن القاهرة سنين لكونه منع من التوجه لبيت المقدس حمية لهم وتجرع فاقة وضيقا وتشتيتا ثم سمح له بالإقامة في الخليل فتوجه إليها خليلي (من الخليل) بالترسيم والغرامة المالية إضافة إلى السب واللعن بسبب اعتدائه على كنيس لليهود في بيت المقدس⁽¹³⁹⁾، وفي عام 903هـ/1498م دخل من مصر إلى دمشق خاصكي، وتلقاه القضاة الكبار على العادة، بمراسيم شريفه بأن لا يجحف على اليهود في أخذ الجزية بل بالمعروف وشاع بدمشق⁽¹⁴⁰⁾.

وكان لليهود في الدولة المملوكية ألقاب دينية ذكر منها.

الأول: الرئيس، وهو القائم فيهم مقام البطرك في النصارى.

الثاني: الحزان، وهو فيهم بمثابة الخطيب يصعد المنبر ويعظهم.

الثالث: الشليحصبور، وهو الإمام الذي يصلي بهم⁽¹⁴¹⁾.

وقد أثبتت وثائق العصر المملوكي الصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يتولى رئاسة اليهود، أن يكون من أكبر الكهنة، وأعلم الأحبار وأن يتميز بالنزاهة وحسن الخلق، وأن تكون له خدمته في مهام الدولة كما اشترط أن يكون عارفاً بكتب اليهود

(139) السخاوي، الضوء، ج1، ص34.

(140) ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص63.

(141) الفلقشندی، صبح، ج5، ص445.

وشرائحهم ملماً بالعبرية إلاماً تاماً⁽¹⁴²⁾، وكانت أهم الأعمال التي اشتغل بها اليهود: الصباغة والتجارة، وكان منهم الصيارفة، وكان منهم الأساكفة⁽¹⁴³⁾.
وبالنسبة لتاريخ اليهود في بلاد الشام في العهد المملوكي يلاحظ أنهم شكلوا عنصراً مهماً من عناصر السكان في فلسطين، ولكن يلاحظ عليهم في هذا العهد أنهم لم يندمجوا بشكل كبير في المجتمع و مالوا إلى العزلة الاجتماعية على عاداتهم وكانت أحياءهم مغلقة على شكل جيتوهات وهو ما أكده (عوبديا) من أن اليهود في الخليل يقيمون جميعاً في فناء مقصور عليهم ولا يندس فيما بينهم مسلم⁽¹⁴⁴⁾ وعملوا أيضاً في المنسوجات التي نشطت بقدم المهاجرين الذين عملوا في الصباغة⁽¹⁴⁵⁾. ومما يؤكد هذه العنصرية أن اليهودي مَيَّرَ بين مجتمع الخليل والقدس وفضل يهود الخليل على يهود القدس.

وأما فيما يتعلق بالعلاقات بين اليهود والمسلمين يبدو أنها كانت علاقة حسنة في بعض الأحيان وهو ما تشير له بعض الحوادث فقد أقيمت صلاة استسقاء بين المسلمين والمسيحيين واليهود عام 1317هـ/717 م بسبب قلت سقوط الأمطار⁽¹⁴⁶⁾.

ومن النصوص الهامة التي تدل على ترابط المجتمع الشامي واليهود جزء منه ما أورده ابن بطوطة في هذا المجال خاصة قائلاً: "أمر مناديا ينادي بدمشق أن يصوم الناس

(142) القلقشندي، صبح، ج 11، ص 384، ص 385. قاسم أهل الذمة، ص 109.

(143) غوانمة، تاريخ، ص 145. Jewish Court Physicians in the Mamluk Sultanate during the First Half of the 8th/14th century

(144) السيد، اليهود، ص 117.

(145) الطراونة، مملكة، ص 141.

(146) مخطوطة ابن دقماق، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام ورقة 53 ب، نقلاً عن يوسف دروري، "القدس في عصر المماليك"، دراسات في تاريخ المدينة، تحرير أمنون كوهين، ص 117.

ثلاثة أيام ولا يطبخ أحد بالسوق وما يؤكل نهاراً، وأكثر الناس بها إنما يأكلون الطعام الذي يصنع بالسوق، فصام الناس ثلاثة أيام متوالية كان آخرها يوم الخميس، ثم اجتمع الأمراء والشرفاء والقضاة وسائر الطبقات على اختلافها في الجامع حتى غص بهم وباتوا ليلة الجمعة ما بين مصل وذاكر وداع، ثم صلوا الصبح وخرجوا جميعاً على أقدامهم وبأيديهم المصاحف، والأمراء حفاة وخرج جميع أهل البلد ذكورا وإناثا صغاراً وكباراً، وخرج اليهود بتوراتهم، والنصارى بإنجيلهم، ومعهم النساء والولدان وجميعهم باكون متضرعون متوسلون إلى الله بكتبه وأنبيائه، وقصدوا مسجد الأقدام وأقاموا به في تضرعهم إلى قرب الزوال وعادوا إلى البلد فصلوا الجمعة وخفف الله تعالى عنهم فانتهى عدد الموتى إلى ألفين في اليوم الواحد، وقد انتهى عددهم بالقاهرة ومصر إلى أربعة وعشرين ألفاً في يوم واحد⁽¹⁴⁷⁾.

ويلاحظ أن بعض العادات التي مارسها اليهود في الشام كانت قريبة من العادات العربية ففي ما يتعلق بالانتراح ورد نص عند ابن سبط العجمي يؤكد أن العزاء عند اليهود وجد بنفس ما هو عند العرب فقد قال: " في هذه السنة في ذي الحجة صدر بحلب أن بنتا بكر من أولاد عم عمرو كرهت زوجها ابن المقصوص فلقنت كلمة الكفر لينفسخ نكاحها قبل الدخول فقالتها وهي لا تعلم معناها فأحضرها البدري إلى دار العدل بحلب وأمر فقطعت أذناها وشعرها وعلق ذلك في عنقها وشق أنفها وطيف بها على دابة بحلب وهي من أجمل البنات وأحيامن فشق ذلك على الناس وعمل النساء في كل ناحية بحلب عليها عزاء حتى نساء اليهود"⁽¹⁴⁸⁾.

(147) رحلة، ص326.

(148) كنوز الذهب، ص156.

ويمكن أن نستنتج من خلال الاطلاع على النصوص أن اليهود في بلاد الشام وخاصة في فلسطين لم يكونوا من الطبقات الاجتماعية التي تتمتع بالثراء بل كانوا من الفقراء وهو ما أكده الرحالة اليهودي بتاحيا الراسبوتي الذي زار فلسطين بين عامي 570-583هـ/1174-1198م، وذكر في رحلته أنه لا يوجد في القدس سوى يهودي واحد يدعى إبراهيم الصباغ⁽¹⁴⁹⁾، وقد أكد الرأي السابق الرحالة اليهودي موسى بن ناحوم الجيروني الذي زار بلاد الشام والأرض المقدسة (فلسطين) عام 667هـ/1268م، وقد تحدث عن سوء أوضاع مدينة بيت المقدسة، وأكد أنه لا يوجد في القدس سوى شقيقين يهوديين يعملان في الصباغة. ومن الأمور الهامة التي أشار إليها عدم استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية في بلاد الشام والأرض المقدسة، وكان متشوقاً أن يعود إلى بلاد الأندلس⁽¹⁵⁰⁾.

إلا أن الرحالة اليهود كانوا متناقضين في نقل المعلومات التاريخية فقد ذكر ابن تشيلو أن الجالية اليهودية في القدس بفضل الله كثيرة العدد، تكونت من آباء العائلات الذين قدموا من مناطق مختلفة من العالم وبخاصة من فرنسا، وقادة الجالية والأخبار الرئيسون قدموا منها كذلك... وهم يعيشون جميعاً هناك في سعادة وراحة كل حسب ظروفه وحسب حظه، في ظل سلطة ملكية عادلة وعظيمة، ندعو الله أن يدعمها ويرفعها إلى درجة متقدمة من الازدهار.

(149) Petachia of Ratisbon, Travel of Petachia of Ratisbon, P.P.88 .

(150) الرابي موسى بن ناحوم الجيروني: طبيب وفيلسوف يهودي ينسب إلى مدينة جرونا في شمال شرق إسبانيا، توجه إلى فلسطين وأقام فيها حتى توفي عام 669هـ/1270م، وترك العديد من الكتب أشهرها حديقة الرغبة. التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ص51، هـ1.

Elias Hiam Lindo, The History of the Jews of Spain and Portugal, P.P. 68-69.

وقد أكد تزايد عددهم الرحالة ميشولم بن مناحيم الذي زار المدينة عام 886هـ/1481م فقال إن عدد بيوتهم في القدس وصل إلى 250 بيتاً⁽¹⁵¹⁾.

وكان يربط المسلمين واليهود في مدينة القدس الشريف علاقة حسن جوار، ورعاية لهم من قبل المسلمين، وقد تدخل المسلمون مرات عدة لصالحهم لدى السلطة الحاكمة، ويؤكد ذلك وثيقة من وثائق الحرم القدسي الشريف مؤرخة بعام 795هـ/1392م، وهي عبارة عن شكوى رفعها شيخ طائفة المغاربة بالقدس الشريف الشيخ كمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الوارث إلى الأمير المملوكي السيفي ملك الظاهري كافل الممالك الشريفة الإسلامية الشامية، الذي كان نائباً للسلطان بدمشق⁽¹⁵²⁾، وكانت القدس تابعة له، وتضمنت شكوى من شيخ المغاربة ضد رئيس الشرطة في القدس الشريف، لأنه صادر تركة يهودي مات في القدس، يدعى إبراهيم الأمني، مستغلاً وجود وريثه في السجن، ولم يوجد لديه إثبات بذلك، وطالب شيخ المغاربة بإثبات الحق بالطريق الشرعي، ورد الحقوق إلى الورثة⁽¹⁵³⁾.

وقد برز خلاف بينهم وبين المسلمين منذ عام 878هـ/1473م وامتد لسنوات حول بناء كنيس تهدم في حارة اليهود بالقدس، وبعد تدخلات عدة، وبعد أن

(151) Meshullam Ben Menahem , The Travels of Rabbi Meshullam Ben R Menahem of Volterra, Jewish Travelers in the Middle Ages, Alkan Adler, 2ed. N.Y., U.S.A., 1987, P.185.

(152) الأمير المملوكي السيفي ملك الظاهري: الأمير بلوي الظاهري ناظر الحرمين الشريفين، ونائب السلطنة وكافل الممالك الشريفة الإسلامية الشامية في عهد السلطان المملوكي الظاهر برفوق (784-801هـ/1382-1399م). الحنبلي، الأنس الجليل، ج2، ص397-398.

(153) وثائق الحرم الشريف، حجة رقم 335 بتاريخ 795هـ/1392م.

وصلت القضية إلى السلطان، فقد تم إعادة بناء وترميم الكنيس، وهذا يدلل التسامح الإسلامي تجاه أهل الذمة⁽¹⁵⁴⁾.

ويبدو أن اليهود قد توغلوا في مراكز صنع القرار في الدولة المملوكية في بلاد الشام ولقد وردت في ذلك الكثير من النصوص التي أشارت بشكل واضح إلى هذه القضية ومن المعلومات الهامة في هذا الجانب هو ما ورد سنة 886هـ حيث تم القبض على يهودي يحمل خمرا وأخذ إلى القاضي وضربه وكتبت عليه ورقة تقول إن هذا الخمر لشخص يدعى علي أمير سلاح النائب وبعد خروج اليهودي من الحبس شكى للنائب بأن الشيخ ابن الدهيناتي عراه وضربه وأمر بضربه فتم التحقيق في أمر اليهودي ومن باشر هذا التحقيق هو زين الدين ابن النيربي الحلبي من كبار رجال الإدارة في دمشق وتم استدعاء الشيخ المسؤول عن الضرب إلى النائب في دار النيابة وعندما رأى الشيخ النائب قال له كيف أضرب شخص يحميه علي (أمير سلاح) ويبدو أن النائب أراد أن ينصف الشيخ فعندما رآه أخرج اليهود بالضرب على رؤوسهم وقال الشيخ للنائب في أيامك بقيت أتكلم (يعني أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر) وأعاد النائب الضرب مرة أخرى⁽¹⁵⁵⁾.

(154) الحنبلي، الأنس الجليل، ج2، ص426-437.

(155) هذا نص كامل عن قضية اليهودي كما ورد في يوميات ابن طوق: واتفقت قضية، وهو أنه قبل تاريخه بيومين أمسك ابن الدهيناتي يهوديا معه ركوة خمر وأتى بها إلى سيدي الشيخ. فقال له: (خلي أبوك يريقها) فأحدها اليهودي إلى زاوية الشيخ فرجوالظاهر أن الفقرا ضربه. وأتوا به إلى عند سيدي الشيخ. وكتب عليه ورقة بأن الخمر لعلي، أمير سلاح النائب. وبات اليهودي وخرج. ففي هذا اليوم شكى اليهودي للنائب علي الشيخ أحمد الدهيناتي بأنه عراه وضربه وأمر بضربه. بأن يعترف له ابن شمله اليهودي، الذي أطلق من الترسيم بسبب المسلمين من اليهود. فأرسل النائب خلف المذكور، فاحتمى بسيدي الشيخ، فلم يمكنهم منه وراجع النائب فحضر ابن النيربي الحلبي إلى عند سيدي الشيخ فحكى له ما اتفق مع اليهودي.

وفي مجال الحريات التي مارسها اليهود في بلاد الشام فقد، تناول بيركهارت اليهود في صغد وطبرية جميع نواحي معيشتهم، فوصف الحياة الاقتصادية والاجتماعية لهم، كما تحدث عن الخلافات بين اليهود الذين ينتمون إلى قوميات مختلفة، ووصف المستوى التعليمي لليهود المتمسكين بدينهم، وحرص على الاطلاع على المخطوطات المتوافرة عند اليهود وأشار إلى بعض العادات الغريبة عند اليهود⁽¹⁵⁶⁾.

وقد أشار بعض من الباحثات اليهود لمسألة حُسن المعاملة التي مارسها المسلمون مع الطائفة اليهودية في بلاد الشام، وما أكد هذا هو قول الباحث الإيطالي (أبراهام) الذي زار القدس في مارس سنة 1488، ثم استقر حتى صار رئيساً للطائفة اليهودية في فلسطين، يقول: "اليهود ليسوا مضطهدين عند العرب، ولقد سافرت في جميع أنحاء فلسطين طويلاً وعرضاً، لم يعترض طريقي أحد، ولم يمنعني أحد من التحول في أية بقعة أريدها؛ لأن الفلسطينيين لطفاء وكرماء مع الأعراب، وخصوصاً الذين لا يعرفون لغتهم، وإذا ما رأوا اليهود مجتمعين فإنهم لا يتأثرون لذلك ولا ينزعجون. حتى إنه لو قدر لأحد اليهود أن يبرز في العلوم، فمن السهل

وذهب إلى النائب فرأى النائب وقال: (كيف أطلب شخصاً وأحمى علي، أنا أظلم، أنا أضرب بغير حق؟!) فرجع ابن النيربي لسيدي الشيخ. وذكر له ولا زال حتى أخذ الشيخ هذا وذهب به إلى النائب. فلما رآه أخرج اليهود بالضرب على رؤوسهم ثم قال له: (أنا أي شيء عملت فبث حتى تدعو للحيواوي على وحي؟) فقال له: (حشان الله) فقال: (أنا رأيتك بنفسي، حطوه فضربه ثم أقامه وقال له: (تبت؟) فقال: (وفي أيامك ما بقيت أتكلم) يعني أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. فأعاده وأعاد الضرب إلا توهمه، بل تحققه، بأن هذا الذي كان من جملة من دعا للحيواوي في وجهه. وأن هؤلاء ابن طوق، التعليق، ج1، ص 96-97.

(156) بيركهارت رحلات في سوريا الجنوبية، ج2، ص58-60.

عليه أن يحتل مركزًا مرموقًا بين العرب، وقد يصبح رئيسًا لليهود والعرب في مجال العلوم" (157).

وبسبب أهمية القضايا التي تتعلق بأهل الذمة وخاصة اليهود تم التنبيه في شوارع دمشق إلى أنه من تعرض لظلم تنقل هذه القضايا إلى السلطات العليا في القاهرة في عام 885هـ/1480م نودي بمشاعلي بأقطار المدينة، على عمر بن الصابوني ناظر الجوالي: "من ظلم اليهود والنصارى عليه بالأبواب الشريفة، ومرسومه إليه بأن يسافر إلى القاهرة" (158).

ولكن يلاحظ على السلطة المملوكية في بلاد الشام أنها حاولت أن تمارس نوع من العدالة الاجتماعية بين طوائف السكان في بلاد الشام وهو الأمر الذي أكدته تلك الوثائق والمصادر التي تحدثت عن هذا العصر فنجد أن (المقريري) يذكر تولى (تنكر) النيابة في بلاد الشام وقد كان حريصا على حماية هذه الطوائف ففي أحداث سنة 712هـ/1312م "وعظم شأنه وأمن الرعايا حتى لم يكن أحد من الأمراء يظلم ذميًا، فضلاً عن مسلم، خوفاً من بطشه، وشدة عقوبته، وكان السلطان لا يفعل شيئاً بمصر إلا ويشاوره فيه وهو بالشام" (159). وهنا تجدر الإشارة إلى أن نواب الشام لم يكونوا على نفس السياسة تجاه اليهود وفي بلاد الشام حيث مارس البعض القمع ضدهم.

(157) مجلة المتحف العربي الكويتية السنة الثانية، العدد الثالث جمادى الأولى 1407هـ، 9 يناير 1987م.

(158) ابن طولون، مفاكهة، ج 1، ص 6.

(159) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج 3، ص 102.

الأوضاع الاقتصادية لليهود في بلاد الشام.

ومن الملاحظ أن الدولة المملوكية قد سمحت لليهود بالحرية الاقتصادية وبممارسة التجارة في أصقاع العالم وهذا أتاح لهم تكوين الثروات وكان من النتائج المباشرة لهذا النشاط معرفة عدد من اللغات التي يتواصلون بها مع شعوب الأرض المختلفة، كما سمح لهم بالإقامة للعبادة في الأماكن المقدسة⁽¹⁶⁰⁾.

ويتضح مما سبق أن اليهود قد برعوا في الترجمة وأتقنوا عدد من اللغات المختلفة، كما برعوا في التجارة والطب والصرافة في ذلك الوقت.

ونجد أن اليهود كانوا يمارسون نوعاً من الحرية الاقتصادية في الحكم المملوكي وامتهنوا أهم المهن الاقتصادية ومنها الصرافة ففي حوادث سنة 652هـم 1251م تؤكد أن السلطان عز الدين أيك ومعه ثلاثة عشر نفراً نزلوا الكرك وتوجهوا إلى دكان يهودي صيرفي وصرّفوا دنائير ذهبية فقد أصابته الدهشة عندما رأى الدنانير الذهبية القديمة⁽¹⁶¹⁾.

وقد تمتعت الدولة المملوكية بنوع من الاستقرار في بلاد الشام في بعض الفترات التاريخية، وهو ما أتاح لبلاد الشام أن تزدهر، وهذا يؤكد الرحالة اليهودي (ابن تشيلو) الذي زار بلاد الشام واستقر في فلسطين عام 733-734هـ/1333-1334م، حيث قدم لنا صورة عن بلاد الشام وخصص حديثه عن مدينة بيت المقدس أنها تمتعت بنوع من الحيوية والنشاط الاقتصادي، وانفتاح السلطة المملوكية على أهل الذمة وتعاملها معهم بشكل اتسم بالعدل والرعاية والحماية، عندما قال:

(160) انظر: F.f Suriano Treatise On The Holy Land . (Jerusalem, 1949), PP. 101-102.

(161) ابن الدوادري، أبوبكر بن عبد الله بن أيك، كنز الدرر وجامع الغرر، ج8، ص26-

"وهم اليهود في بلاد الشام يعيشون جميعاً هناك في سعادة وراحة كل حسب ظروفه وحسب حظه، في ظل سلطة ملكية عادلة وعظيمة وندعو الله أن يدعمها ويرفعها إلى درجة متقدمة من الازدهار..."، ويمكن فهم هذه الصورة في سياق انحسار الأخطار الخارجية، وتعاطف المسلمين مع اليهود بسبب الهجرات القسرية التي تعرضوا لها في كل من بريطانيا عام 689هـ/1290م، وفرنسا عام 706هـ/1306م، وقد أفاد المماليك من هذه المعاملة التي أفرزت خبرات جديدة، وتجارة رائجة وفرت أموالاً جديدة في المنطقة⁽¹⁶²⁾.

وقد أشار الرحالة (بن تشيلو) عن الواقع الاقتصادي للقدس في الفترة المملوكية فقد تحدث عن بعض المهن والصناعات مثل: الدباغة، والخياطة، وصناعة الأحذية، والزجاج⁽¹⁶³⁾.

ولعب اليهود دوراً في الحياة الاقتصادية لبلاد الشام ففي حلب توجد حرفة الصباغة بشكل واسع الانتشار⁽¹⁶⁴⁾، وكانت تصبغ الحصر بالألوان المختلفة، والواضح أنه من كان يقوم بهذا الحرفة هم اليهود حيث ذكر الرحالة اليهودي (بنيامين التطيلي) عندما زار مدينة بيت لحم أن بها "أحد عشر يهودياً يحترفون الصباغة"⁽¹⁶⁵⁾. ومن صور الحرية الاقتصادية لليهود في بلاد الشام أنهم امتلكوا أماكن خاصة بهم

(162)Edler,E., Introduction of Jewish Travelers, N.Y.,1987,P.17-18.

(163) (Isaac Ben Joseph Ben Chelo ,The Roads from Jerusalem, Jewish Travelers in the Middle Ages, Alkan Adler,2ed. N.Y.,U.S.A., 1987,P134.

(164) ابن سبط العجمي، كنوز الذهب، ج1، ص427-441.الغزي، نهر الذهب، ج1، ص349.

(165) التطيلي، رحلة، ص104.

للممارسة التجارة كما هو الحال في حلب وغيرها من مدن بلاد الشام ففي حلب كان لهم سوق خاصة بهم⁽¹⁶⁶⁾.

وكانت الدولة المملوكية تجبي ضريبة المكس على البضائع الواردة أو الصادرة من نيابة بيت المقدس، وتم تحصيل الخراج من الأراضي الزراعية وبلغت على الزيتون الرومي ما يقارب نصف الغلة، وضريبة الجوالي⁽¹⁶⁷⁾ على أهل الذمة وتراوحت بين 10-25 دراهم على الرأس، إضافة إلى ضريبة الحج على الحجاج المسيحيين الفرنج وكانت تجبي وقت نزولهم إلى البر⁽¹⁶⁸⁾.

ويمكن القول، أن التجار اليهود في بلاد الشام خضعوا للسياسة الاقتصادية العامة للدولة المملوكية، ففي سنة 896 هـ / 1493 م قام صاحب وظيفة مباشرة عملية بيع الزيت (طرح الزيت) وترتيبه، ويقضي ببيع الزيت المتحصل من جبل نابلس على أهل القدس من المسلمين واليهود والنصارى، وبلغ سعر كل قنطار من الزيت خمسة عشر ديناراً ذهباً، والسبب في ضبط عملية بيع الزيت أن مجموعة من أهل السوق سنة 890هـ/1484م تلاعبوا بأسعاره فسار يضبط ويوزع على التجار في مدينة القدس والرملة والخليل⁽¹⁶⁹⁾. ولكن القحط الناتج عن قلة الأمطار أحياناً، إضافة إلى

(166) سبط ابن العجمي كنوز الذهب في تاريخ حلب، ج 1، ص 584.

(167) ضريبة الجوالي: وهي الجزية المقررة على أهل الذمة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص530.

(168) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، ص78؛ غوثمة، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص104-106.

(169) الحنبلي، الأنس، ج2، ص356-358. أبوشلوف، نسيم زريق، الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام في العهد المملوكي (648 - 922 هـ / 1250 - 1516م)، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الجناح لبنان، ص175.

الضرائب الباهظة، وسياسة الرمي والطرح السابق ذكرها التي مارستها الدولة في بلاد الشام والمقصود بما تحديد سعر السلعة بأكثر من ثمنها الحقيقي وطرحها في السوق للتجار بالسعر المحدد، مثل الزيت التي أطلق عليها الحنبلي "وقعة الزيت"⁽¹⁷⁰⁾، مما كان له أكبر الأثر على الحياة الاقتصادية، على المحاصيل الزراعية في كثير من الأحيان.

وكان لسياسة الدولة المملوكية الاقتصادية أثر في زيادة عدد اليهود حيث رخصت الأسعار واستقرار الأوضاع في مدينة القدس أدى إلى عودة مجموعة من اليهود الذين تركوها إليها حيث قدر عددهم سنة 900هـ / 1495م بـ 200 أسرة⁽¹⁷¹⁾.

وفرضت ضريبة على اليهود حيث أشارت نتائج المسح العثماني الأول إلى وجود ضريبة باسم (رسوم الزيارة)، كان يدفعها اليهود عن زيارة قرية ميرون في ولاية بر صغد، وعند زيارة طبرية، وكانت قيمتها أربع أجاجات لكل زائر، وقد تكون قيمتها في العهد المملوكي قريبة من هذه القيمة⁽¹⁷²⁾.

وكان لليهود دور في تنشيط التجارة في العصر المملوكي فقد حوت طبقة التجار على أهل الذمة من النصارى واليهود سواء السكان أو الذين يأتون للحج، وقد أقيمت لهم الأسواق الموسمية في الأعياد والمواسم والتي عادت على الأهالي بالشراء وكان لها مردود اقتصادي كبير على بلاد الشام⁽¹⁷³⁾.

(170) الحنبلي، الأنس الجليل، ج2، ص 484، 491؛ غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص76-78.

(171) السيد، اليهود، ص128، ص129.

(172) الطراونة، مملكة، ص181، ص182.

(173) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص158. ابن بطوطة، رحلة، ج1، ص41. فابري،

رحلة، ق1، ج، 327. غوانمة، نيابة، ص118.

ويحدثنا الرحالة الأوروبي بيرو طافور الذي شرع في رحلته إلى الشرق سنة 839هـ/1435م- وكان تاجراً وسفيراً أرسل لبلاط السلطان المملوكي أن ترجمان السلطان من أصل يهودي لكنه أسلم فيما بعد، يقول: "فتلقاني المترجم بالترحاب العظيم وأنزليني في داره، فبقيت به يومين قبل أن أتمكن من رؤية السلطان، وأخذ المترجم طوال هذه الفترة في محادثتي، فسألني الكثير عن نفسي، ولما عرف مني أنني قشتالي الأصل، أشبيلي المولد، امتلأت نفسه غبطة لسماعه هذا النبأ، فقد ولد هو الآخر بها، ودرج طفلاً على ترابها، إلا أنه حمل صغيراً إلى بيت المقدس مع أبيه وكان يهودياً، لكنه أسلم حين مات أبوه، وكان اسمه في بداية الأمر "حاييم" أما الآن فيدعى "صايم" وقد أراد أن يعرف من أكون ومن أين جئت؟ فلم أكتف عنه شيئاً من خبري لأنتفع بخدماته ونصحائه"⁽¹⁷⁴⁾.

وفي العهد المملوكي المتأخر دخل اليهود دار الضرب سنة 916هـ/1510م، وكان يطلق على هذه الوظيفة (معلم دار الضرب) بدمشق، وليس خلعة، وركب وحوله جماعات من المسلمين والمنافقين⁽¹⁷⁵⁾، وكان لاستلام اليهود دار الضرب دور كبير في تدمير وتزييف العملة في الشام لدرجة أنه في سنة 922هـ/1516م "أهلك النقدين"⁽¹⁷⁶⁾، ومن الأحداث الهامة التي وقعت في العام سابق الذكر أنه مر السلطان على باب النصر الذي يقع في رأس القبيبات"، ونثر عليه صدقة اليهودي،

(174) طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي: 64-65.

(175) ابن طولون، مفاكهة، ج1، ص281-282. 403

(176) المصدر نفسه، ج1، ص318.

معلم دار الضرب بدمشق، دراهم وأشرفية أصطنعها لذلك خفيفة، ويقال إنها ألفا درهم، فاقتتل الناس على نهبها، فأمره السلطان بالكف عن ذلك" (177).

ووصل الأمر باليهود درجة كبيرة من التغلغل في اقتصاديات الدولة المملوكية في الشام والسيطرة على الأوقاف وهو ما أكدته حوادث سنة 926هـ حيث تم تسليم جامع تنكز والناصريتين للدوادار، وأجر وقفهم لمعلم دار الضرب اليهودي (178).

ونجد أن اليهود لعبوا دوراً في تطور النظام التجاري في الدولة المملوكية في بلاد الشام وخاصة الحوالات التي مثلت جزءاً من النظام التجاري عند المماليك وأدت إلى تقدم في النواحي الاقتصادية، إلا أنه لم تذكر هذه الكلمة بنفس المعنى، وربما أن انتشار الصيرفة وأسواقهم كان له دور في تطور هذه المعاملات حيث وجدت في بلاد الشام، وكانت أهم الأعمال التي اشتغل بها اليهود: الصباغة والتجارة، وكان منهم الصيرفة، وكان منهم الأساكفة (179). وخان الصرف ويعرف بسوق العملات المختلفة التي ترد مع الحجاج أهل الذمة (اليهود والنصارى) من أنحاء الغرب وكذلك مع الدول المحيطة ببلاد الشام، ويقع عند التقاء شارع داود بشارع باب المحراب وكان يطلق عليه أيضاً شارع المعبد (180)، وما ذكره المقرئزي يؤكد انتشار هذا النوع من الضرائب في أكثر من مدينة مثل "جوالي الذمة بالقدس وبلد الخليل، وبيت لحم وبيت جالا" (181)، وكانت الجوالي تؤدي سنويا وتورد مستقلة

(177) المصدر نفسه، ج1، 327

(178) ابن طولون، مفاهمة ص، 402-403.

(179) المقرئزي، السلوك، ج7، ص224.

(180) العليمي، الأنس، ج2، ص52.53.

(181) المقرئزي، السلوك، ج2، ص165.

بذاتها في حسابات الدواوين⁽¹⁸²⁾، أما عن الأسلوب الذي اتبعه ناظر الجوالي فكان يعد كشوفاً بأسماء أهل الذمة من اليهود ثم يثني بالسامرة ويثالث بالنصارى، وترد الأسماء أبجدياً لتسهيل مهمة ذلك الموظف، فإذا أخذت "الجالية" "الجزية" من أحدهم كتب بها "إيصال" وشطب عن اسم من أداها، وإذا عاد أحد النازحين إلى البلد ولم يكن قد أدى الجزية أخذت منه، وإذا كان قد سددها وأحضر الإيصال الدال على ذلك نقل المبلغ إلى حساب البلد⁽¹⁸³⁾.

وكان مباشر الجوالي يحتاج في كل سنة إلى إلزام رئيس اليهود ورئيس السامر وقسيس النصارى أو أسقفهم بكتابة أوراق يسمونها الرقاع بمن عنده من أسماء أبناء الطوائف، وقد عرفوه باسم رواتب ما استجد من الطوائف والنوابت أي الوافدين إلى البلاد والنوابت الصبية الذين لم يبلغوا الحلم، ويعين في آخر الرقاع من اهتدى بالإسلام أو من مات أو من سافر واسم البلد الذي سافر إليها، وكانت الرقاع بمثابة شاهد أو إقرار على من يخل بهذه الأسماء، وكان يقوم بتلك المهمة في بعض الأحيان "مباشر" اليهود "ومباشر" النصارى الذي يعرف بأسماء أهل الذمة الواردين في الديوان⁽¹⁸⁴⁾.

وساهم اليهود في تنشيط الحياة الاقتصادية في بلاد الشام بشكل كبير لدرجة أنهم كانوا سبب في تطور صناعة النسيج وخاصة في حلب وخاصة غزل القطن والصوف وهي مختصة بنساء الفلاحين وسكان الأطراف وينسج من غزلها الخام البلدي

(182) المقريري، السلوك، ج2، ص506. القلقشندی، صبح، ج3، ص530. النويري، نهاية، ج2، ص440. قاسم، أهل الذمة، ص64.

(183) القلقشندی، صبح، ج3، ص530. قاسم، أهل الذمة، ص64.

(184) النويري، نهاية، ج2، ص440. القلقشندی، صبح، ج3، ص530. قاسم، أهل الذمة، ص64.

والعباءات والجرابات التي تعمل باليد ولا يصلح لغير ذلك. وكان يوجد لغزل القطن معمل كبير يدور على الماء في سيف العاصي مما يلي مدينة أنطاكية وهو معمل عظيم يشتمل على آلات الحليج والغزل والنسج والطي. وكان يخرج منه في كل يوم من الغزل حمل بغل. وكان ابتداء تأسيسه عن يد تجار من اليهود في حدود سنة 1290 فصرفوا عليه نفقات باهظة وأحضره من أوروبا ونفدت ثروتهم ولم يكمل. وكان أكثر ما يصرف غزله في حلب وبياع بثمان دون ثمن الغزل الافرنجي. ثم في سنة 1308 أقفل وقد تحطمت أدواته وبيع منها القدر الكثير في حلب وغيرها. ومنها صنعة حليج القطن وهي مختصة بسكان الأطراف من المسلمين يباشرونها في دواليب بسيطة تدار بأيديهم أو بأرجلهم. وكان وجد لها آلة افرنجية تدور على ماء نهر قويق قد نصبت في أحد الطواحين واشتغلت مدة ثم تعطلت. ثم وجد بعدها كثير من المحالج الافرنجية التي تتحرك بقوة النار ولم تزل حتى الآن⁽¹⁸⁵⁾.

وجاء في إحدى الوثائق المؤرخة في 29 من صفر 826هـ/11 من فبراير 1423م، وذكر خمسة من التراجمة المسلمين المعتمدين لدى الدولة المملوكية وهم: شمس الدين محمد بن العادل، وتقي الدين محمد بن الأسيوطي وشمس الدين محمد بن عمر ومحمد بن حمزة ومحمد بن علي بن كندك، ومترجم يهودي اسمه مردوخ بن شموال⁽¹⁸⁶⁾.

(185) الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب ج1، ص 97.

(186) صبحي لبيب، "الفندق ظاهرة سياسية، اقتصادية، قانونية: 296 ضمن كتاب: مصر وعالم البحر المتوسط. ويلاحظ أن عائلات يهودية قد تخصصت في الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية من قبل العصر المملوكي ومن بعده. ففي ملخص لدراسة بعنوان: "المترجمون إلى اللغة العربية في وهران في القرن 16" وهي من إعداد شانتال دي لافيرون من المركز الوطني للبحث العلمي بباريس مانصه: "عند البحث في الأرشيف العام بسيمنكا (إسبانيا) حول

واحتجاجاً على تلك الأساليب التعسفية رحل بعض سكان القدس إلى مناطق أخرى، كما أغلق التجار حوانيتهم، ومع ذلك لم تتوقف السلطة عن سياستها تلك؛ بل وسعت نشاطها في كل من الخليل والرملة وغزة، ففي ربيع أول 897هـ/ كانون ثاني 1492م حضر مرسوم الأمير (أقبردي الدوادار) بشأن زيت نابلس ورميه على تجار مصانع الصابون دون العامة، وبالفعل أعدت القوائم بأسماء تجار الصابون وصناعه، فرمي الزيت عليهم، كما طبق هذا القرار على اليهود والنصارى، فرمي على القدس مائة وأربعة وثلاثون قنطاراً، وعلى الخليل مائة وستون قنطاراً، وعلى غزة ألف قنطار، وعلى الرملة مجموعة من القناطير لم تحدد مقدارها، وتم قبض الثمن.

موضوع وهران أثناء الاحتلال الإسباني لاحظنا غياب وثائق الإدارة الإسبانية فيما بين 1652-1668 إلا أننا عثرنا على هذه الوثائق في لندن وجوناف. وتبين لنا أن أغلبها تتناول العائلات اليهودية الرئيسية في وهران والتي من بينها عائلات تتمتع بامتياز المناصب الرسمية للمترجمين إلى العربية ومن بين هذه العائلات توجد عائلة كانسينو، وقد مكّنتنا وثائق المتحف البريطاني والمكتبة الجامعية بجوناف من تتبع حياة وسير بعض أعضائها المترجمين إلى العربية لدى حكام وهران. وبالإضافة إلى كانسينو توجد عائلات زابورتاس والألبو التي تعتبر من ضمن العائلات السبعة التي سمح لها الأسبان بالإقامة بوهران. إن الوثائق المذكورة أعلاه تتحدث عنها في عدة مناسبات وتشير إلى أن بعض أعضائها كانوا مترجمين إلى العربية"، انظر: (المجلة التاريخية المغربية، السنة 17، العدد 59-60، سنة 1990). ينظر: أ.د. سمير الدروبي أصناف الترجمة في ديوان الإنشاء المملوكي، جامعة مؤتة - قسم اللغة العربية، ص36.

الخاتمة:

- انتشار اليهود في أغلب مدن الشام من الشمال إلى الجنوب.
- زادت أعداد اليهود في بلاد الشام بشكل ملحوظ بعد سقوط الأندلس وتعرض اليهود للاضطهاد الديني والقمع من قبل النصارى.
- استغلال اليهود للإحداث السياسية والحروب في التحالف مع المغول ضد المسلمين الأمر الذي أدى إلى قمعهم وتدمير ممتلكاتهم خاصة في مدينة دمشق.
- اهتمام الدولة المملوكية بالطوائف اليهودية في بلاد الشام لدرجة أنها عينت لهم جهاز إداري كامل.
- العدالة في معاملة اليهود من قبل السلطة المملوكية من خلال إنصافهم خاصة فيما يتعلق بقضية أماكنهم الدينية.
- توتر العلاقات اليهودية في بلاد الشام وخاصة مع السكان الذي تعارف عليه بين المؤرخين بالعامية.
- محاولة اليهود التوغل في مؤسسات الدولة المملوكية والوصول لمراكز صنع القرار وسيطرتهم على العلاقات الخارجية فأشهر مترجمي السلاطين المماليك من اليهود.
- انجاز اليهود للكثير من مصالحهم بطرق الرشوة والعلاقات بينهم وبين نواب السلاطين المماليك.

- التأثير في اقتصاد الدولة المملوكية من خلال السيطرة على التجارات الهامة والوصول لرئاسة دار الضرب في الدولة.
- تضارب المعلومات عن الإعداد الحقيقية لليهود في مدن بلاد الشام يبدو بطريقة متعمدة.
- أغلب الصراعات بين اليهود والمجتمع الشامي كانت دينية إما على مكان مقدس أو نتيجة تصرف يمس بالعقيدة ويؤذي المشاعر.
- كانت القضايا التي تتعلق باليهود تحظى باهتمام كبير من قبل السلطة المملوكية لدرجة أنها تحضر فقهاء المذاهب الأربعة للفصل بينهم وبين عامة المجتمع.
- التواجد اليهودي تركز بالقرب من الأماكن الاقتصادية الهامة في مراكز المدن والأسواق.

المصادر والمراجع

- 1) Obadiah، op..p185cit. نقلا عن السيد ، اليهود.
- 2) ابن الشحنة: حسين بن محمد (ت890هـ/1467م)، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دار الكتاب العربي وعالم التراث، دمشق، (د.ت).
- 3) ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد(809هـ/1456م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سيهل زكار، ط1، دار الفكر بيروت، 1988م.
- 4) ابن العماد، الحنبلي عبد الحي بن احمد العسكري، الدمشقي (ت189هـ/1775م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 10ج، دار، تحقيق عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط1 سنة1985م.
- 5) ابن بطوطة: محمد بن عبدالله اللواتي(ت779هـ/1391م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، جزءان، 1405هـ.
- 6) ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت874هـ-1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نشر وزارة الثقافة، مصر.
- 7) ابن جبير: محمد بن أحمد بن جبير الاندلسي (ت614هـ/1226م)، رحلة بن جبير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، مصر.
- 8) ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 6ج، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، نشر مجلس دائرة المعارف، الهند، ط2، سنة1392م/1972م.
- 9) ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، 1992م.

- 10) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت 808هـ/1405م)، تاريخ، دار القلم، بيروت، ط5، سنة 1984م.
- 11) ابن صصري: محمد بن محمد (ت قبل ق 9هـ/15م)، الدرر المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم، م. بريز، مكتبة جامعة كاليفورنيا، 1963م.
- 12) ابن طاهر المقدسي المطهر (ت 501 هـ / 1113م): البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد. د.ت.
- 13) ابن طوق، شهاب الدين أحمد، التعليق، مذكرات كتبت بدمشق في أواخر العهد المملوكي (824-915هـ/1480-1509م) تحقيق الشيخ جعفر المهاجر، نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، سنة النشر ومكانه، دمشق 2000م.
- 14) ابن طولون: شمس الدين محمد (ت 953هـ/1546م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة للنشر، 1962م.
- 15) ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله عبد الله الشافعي (571هـ/1175م)، تاريخ مدينة دمشق، 70ج، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، نشر دار الفكر، بيروت، د.ط، سنة 1995م.
- 16) ابن قاضي، شهبة، تقي الدين أبي بكر الأسدي الدمشقي، 779-851هـ/1377-1448م. تاريخ، تحقيق عدنان درويش، نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية، سنة 1994م.
- 17) ابن كثير: اسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، 14ج، مكتبة المعارف، بيروت، د.ط، د.ت.
- 18) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت 711هـ/1323م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1965م.
- 19) أبو شامة المقدسي: المحافظ المؤرخ شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ/1267م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزبيق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

- 20) أبي الفداء: الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن أيوب (ت732هـ/1331م)، **تقويم البلدان**، صححه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، سنة1815م.
- 21) الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (ت56هـ/1166م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** (اسطوانة مكتبة التاريخ والحضارة الإصدار الثالث).
- 22) الإصطخري: إبراهيم بن محمد الفارسي، (ت350هـ/961م)، **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1960.
- 23) إنباء الغمر بأبناء العمر، 4ج، تحقيق، حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، سنة1389هـ/1969م.
- 24) البصراوي: علي بن يوسف بن أحمد (ت905/1499م)، **تاريخ البصراوي**، تحقيق أكرم حسن العلي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، سنة1408هـ.
- 25) البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، (ت487هـ/1094م)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 4 أجزاء، 1945.
- 26) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م)، **فتوح البلدان**، 1ج، تحقيق رضوان محمد رضوان، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. د.ط، سنة1403هـ.
- 27) تاريخ نيابة القدس في العصر المملوكي"، الزرقاء-الأردن، دار الحياة، (1982م).
- 28) الحازمي، أبو بكر، ما اتفق لفظه وافترق مسماه في الأماكن والبلدان المشتهبة في الخط، ص221.
- 29) الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، (ت626هـ/1238م)، **معجم البلدان**، دار الفكر، بيروت.
- 30) الحميري: محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، دار السراج، ط2، 1980م.
- 31) خسرو: أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي (ت481هـ/1087م)، **سفرنامه**، تحقيق يحيى الخشاب، ط3، دار الكتاب الجديد، بيروت.

32) خطط والآثار المعروف بالخطط المقرينية، 3 ج تحقيق محمد زينهم، ومدحه الشرقاوي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997م.

33) سبط ابن العجمي: أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، موفق الدين، أبو ذر (ت884هـ)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، ط1، 1417هـ.

34) سجلات محكمة القدس الشرعية رقم الفلم 16. رقم التسجيل 17.78 تشرين ثاني 1606م-8تموز 1607م، مركز الوثائق والمخطوطات الجامعة الأردنية.

35) سجلات محكمة القدس الشرعية، رقم الفلم 10. رقم التسجيل 55.11 نيسان 1572م-21ايول 1572م، مركز الوثائق والمخطوطات الجامعة الأردنية.

السجلات:

36) السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت903هـ/1497م)، الضوء اللامع، ج6، منشورات دار مكتبة د.ط. دن، بيروت.

37) السمعي: أبي سعيد عيد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562هـ/1166م)، الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1998م، ص240

38) السيوطي: الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، مطبعة السعادة، مصر، 1969م.

39) الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1071م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوطي وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، سنة 1420هـ/2000م.

40) العلمي: مجير الدين الحنبلي (ت927هـ/1520)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس عبد الحميد نباتة، مكتبة دنيس، عمان، د.ط، 1420هـ/1999م.

- 41) العمري: فضل الله العمري شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى (ت749هـ/1349م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أ.د. محمد عبد القادر خريسات وآخرون، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، سنة 2001م.
- 42) الغزي: كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي، الشهير بالغزي (المتوفى: 1351هـ)، نهر الذهب في تاريخ حلب، تحقيق: الدكتور شوقي شعت والأستاذ محمود فاحوري، دار القلم، حلب، ط2، 1419هـ.
- 43) الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي، الشهير بالغزي (المتوفى: 1351هـ) نهر الذهب في تاريخ حلب، ج3، تحقيق: الدكتور شوقي شعت والأستاذ محمود فاحوري، دار القلم، حلب، ط2، 1419هـ.
- 44) القرمانى، أحمد بن يوسف (ت1019هـ/1610م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، مج2، تحقيق أحمد حطيط، وفهمي سعد، نشر عالم الكتب.
- 45) القزويني، زكريا محمد بن محمود (ت 682هـ/1282م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، سنة 1969م.
- 46) القلقشندي: أحمد بن عبد الله (ت 821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه، نبيل خالد الخطيب، 1470هـ/1987م.
- 47) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت721هـ/1321م)، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1995م.
- 48) مخطوطة ابن دقماق، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام ورقة 53 ب، نقلاً عن يوسف دروري، "القدس في عصر المماليك"، دراسات في تاريخ المدينة، تحرير أمنون كوهين، القدس، 1411هـ/1990م.
- 49) المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد أبي بكر البناء البشاري، (ت 390هـ/999م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد، القومي، دمشق، 1980م.

- 50) المقرزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- 51) النعيمي: عبد القادر بن محمد النعيمي (ت 978هـ/1570م)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ.
- 52) النويري: شهاب الدين أحمد (ت 732هـ/1332م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، د.ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت.
- 53) الياضي، أبو محمد بن عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت 768هـ/1366م)، مرآة الجنان، 4ج، د.ت، نشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، سنة 1413هـ.
- 54) بدران: العلامة عبد القادر (1346هـ/1927)، منادمة الأطلال، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1985م.
- 55) براور يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين-مملكة بيت المقدس، ترجمة عبد الحافظ البنا، ط1، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، القاهرة، 2001م.
- 56) خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي (359-567هـ/969-1171م)، ط1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976م.
- 57) زكار، سهيل، إمارة حلب"، دار الكتاب العربي، دمشق، د.ط، د.ت.
- 58) سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ مدينة طرابلس في العصر الاسلامي"، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1967م، د.ط.
- 59) سرور محمد جمال الدين، دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص. د.ط، نشر دار الفكر العربي، القاهرة.
- 60) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر السلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة طبعة جديد 1992م.
- 61) سعيد عبد الفتاح عاشور، "القدس" المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين)، المجلد الأول.
- 62) سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام دار النهضة العربية، القاهرة، طبعة جديدة، 1976م.

- 63) طه ثلجي الطروانة، مملكة صفد في عهد المماليك، الطبعة الأولى، (رسالة ماجستير منشورة)، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- 64) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، سنة 1986، ص 197.
- 65) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1986م.
- 66) فايد حماد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
- 67) قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والاجتماعي، ط1، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 1998م.
- 68) قاسم عبده قاسم أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك، ط1، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2003م.
- 69) كرد علي، خطط الشام، ج6، الناشر، مكتبة النوري، دمشق، ط3، 1403 هـ/ 1983م.
- 70) محمد يوسف، طوائف الحرف في حماة، مجلة الحوليات الأثرية السورية، العدد 16-1988م
- 71) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ط1، منشورات دار الطليعة لبنان، 1965م.
- 72) نقولا، زيادة. دمشق في عهد المماليك، نشر مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت ونيويورك، سنة 1966م.
- 73) يوسف غوانمة، التاريخ السياسي والحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، ط2، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، عمان، 1982م.
- الرحلات الأجنبية:
- 1) أمين أبو دمة، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، 1988م.

- 2) بورشارد: الحاج بورشارد من دير جبل صهيون، وصف الأرضي المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان، 1995م.
- 3) بيركهارت: رحلات بيركهارت في سوريا الجنوبية، ترجمة أنور عرفات، وزارة الثقافة الأردنية، 1969م.
- 4) التطيلي، بنيامين التطيلي: ترجمة عزار حداد، ط1، المدرسة الوطنية، بغداد، 1945م.
- 5) طافور: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي. ترجمة وتقدم: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، 1968م.
- 6) فابري، جولات الراهب فيليكس فابري ورحلاته، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، ط1، دار الفكر، دمشق، 1998م. وتم استخدام نسخة غير مترجمة في البحث.

الرسائل:

1. أبو شلوف، نسيم زريق، الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام في العهد المملوكي (648-922 هـ / 1250-1516م) رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجنان لبنان، سنة 2012م.
2. أبو شلوف، نسيم، الأوضاع الاجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي، (648-922 هـ / 1250-1516م)، رسالة ماجستير غير منشورة الجامعة الإسلامية-غزة، سنة 2009م.
3. الأغا، حسام حلمي يوسف الأغا: الأوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية (492_690 هـ / 1099_1291م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 1428هـ / 2007م.
4. الطراونة، مبارك محمد، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة (784-922 هـ / 1382-1516م) عمان-دار جليس الزمان-2010م.
5. طه ثلجي الطراونة: (رسالة ماجستير منشورة)، مملكة صفد في عهد المماليك، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م.

المراجع الأجنبية:

- 1) Aamiry M.A. Jerusalem, p.11.248.
- 2) Rabie: Hassanien, *Some Technical aspects of Agriculture in Medieval Egypt, From The Islamic Middle East 700-1900*, Studies in Economic and Social History, Ed, A.L Udovitch Princeton, New Jersey, 1981,p.63.